العرب

مجلة تُعنى بتاريخ العرب
وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م)

صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

الجزء السابع والثامن - السنة ٥٥

محرم وصفر ١٤٤١هـ
أيلول-تشرين الأول/سبتمبر-أكتوبر ٢٠١٩م

رئيس التحرير

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. أسعد بن سليمان بكر عبده

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أ. د. عبدالعزيز بن ناصر المانع

أ. د. محمد بن عبدالرحمن الهدلق

العنوان:

التحرير: واصل ٢٧٩٢ - شارع أبي دجانة - حي صلاح الدين - وحدة رقم: ١

الرياض ١٢٤٣٢ - ٦٧٥٢

ص. ب: ٦٦٢٢٥ الرياض ١١٥٧٦، المملكة العربية السعودية

هاتف: ٢٦٩٠٥١٢ (٠٠٩٦٦١١) - **مباشر**: ٢٢٥٣٦٨٣ (٠٠٩٦٦١١)

الاشتراكات: ٦٩٧٨ شارع حمد الجاسر - حي الورود - الرياض.

ص . ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١١) - **لاقط**: ٤١٩٤٥٠٣ (٠٠٩٦٦١١)

الصفحة الإلكترونية: www.hamadaljasser.com

للمراسلة: arab@hamadaljasser.com

ضوابط النشر في المجلة

١. أن يكـون البحث داخلاً ضـمن اهتمامات المجلة، وهي الموضـوعات المتعلقة بتاريخ العرب، وآدابهم، ولغتهم، وتراثهم الفكري.

٢. ألا يكون البحث مقدمًا للنشر في مجلة أخرى، وأن يكون في نسخته الأصلية.

٣. أن يتأكد الكاتب من سـلامة اللغة، وحسـن الترقيم والتوثيق، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح.

٤. أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث.

٥. لا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تُنشر.

٦. ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الكاتب.

٧. الموضوعات التي تُنشر في المجلة تعبّر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة.

٨. المكاتبات توجه إلى رئيس التحرير.

٩. تُرسل المادة إلكترونيًا في ملف (وورد) إلى عنوان المجلة:

arab@hamadaljasser.com

الاشتراك السنوي:

٦٠ ريالاً للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٠ ريالات

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤١٨

رد مد (ISSN) : ۲۶۷۱- ۱۳۱۹

الفهرس

ناهض بن ثومة الكلابيّ من شعراء القرن الثالث الهجريّ	عبدالعزيز إبراهيم	٤٩٧
عوامل قيام النشاط التجاري البحري لجنوب الجزيرة العربية في العصر الإسلامي والوسيط	أ.د. محمد عبده السروري	٥١٥
أثر وحدة السياق الفني في تكوّن الشعر القديم (٢)	د. عبدالله بن سليم الرشيد	٥٤١
شعر أبي اليمن بن عساكر (٣)	د. عبدالرازق حويزي	٥٧١
تذييل واستدراك على بحث لامية العرب بين المبرد والتبريزي	أ. سامح مجدي سعيد	٥٩٩
أعلام العرب: (أحمد مطلوب وخديجة الحديثي من رحلة الحياة والكلمة) (٣)	أ. د. نادية غازي العزاوي	٦٢١
مكتبة العرب (بحوث ومقالات في تاريخ المدينة المنورة)		٦٣٥

نَاهِضُ بن ثُوَمَة الكلابيِّ
من شعراء القرن الثالث الهجريّ(*)

جمع وتحقيق

عبد العزيز إبراهيم (**)

مقدمة في حياته:

١- اسمه ونسبه:

هو ناهض بن ثُومة بن نصيح بن نَهيك بن إمام بن جهضَم بن شباب بن أنس بن ربيعة بن كلب بن بكر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة[١]. يلقب بالكلابيّ نسبة إلى قبيلة كلاب. وقد وهم السيد مرتضى صاحب تاج العروس في لقبه، فذكر ما نصه: «وهو ناهض بن ثومة بن نَصيح الكلاعيّ»[٢] مؤيدًا بما قاله الفيروزآبادي في القاموس[٣]. ثم أضاف ضبطًا لاسمه بالقول: «ونَاهِضُ بن ثُومَةَ» نقله الصاغاني (الحسن بن محمد/ ت٦٥٠هـ صاحب العباب الزاخر)، وثُومَة بضم (الثاء) المثلَّثة.

٢- شخصيته:

لم تذكر المظانُّ التاريخية معلومات عن شخصيته سوى ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه أنه: كان بدويًّا جافيًا كأنه من الوحش، وكان طيِّب الحديث، فارسًا فصيح اللسان، وكان يقدم البصرة، فيُكتب عنه شعره، وتُؤخذ عنه اللغة[٤].

وعنه نقل من استشهد بشعره؛ كالراغب الأصفهاني في محاضراته[٥] وابن أيبك الصفديّ في وفياته[٦] والزَّبيديّ في تاجه[٧] فضلًا عن المتأخرين؛ كجرجي زيدان في تاريخه[٨] والزركلي في أعلامه[٩] . ولم أجد له ذكرًا في فهرست النديم، أو فهرسة ما رواه عن شيوخه لأبي بكر الإشبيلي، أو وفيات الأعيان لابن خلكان.

فإذا حاولنا ان نحدّد الحقبة الزمنية التي عاشها، فإنّ هناك إشارة من أبي الفرج الأصبهاني في قوله: «روى عنه الرِّياشيّ وأبو سراقة ودماذ وغيرهم من رواة البصرة». وهذا يعني أنه كان معاصرًا لهؤلاء الثلاثة، أوَّلهم الرياشيّ، وهو العباس بن الفرج (ت٢٥٧هـ)[١٠] والثالث هو دماذ (رفيع بن سلمة)[١١] وكان كاتب أبي عبيدة (ت٢١٠هـ). أما الثاني، فلم تسعفني المصادر بالتعريف به. وجاء اسمه في الوافي بالوفيات (أبو شراعة)[١٢] محرَّفًا عن رواية الأغاني التي نقل عنها الصفديّ. والذي نستفيد منه أن هؤلاء امتدت حياتهم من أواخر القرن الثاني الهجري حتى تجاوزت النصف الأول من القرن الثالث أيام بني العباس.

أما وفاته، فإنَّ الزركلي يذكرها في الأعلام[١٣] على وجه التقريب (نحو: ٢٢٠هـ-٨٣٥م)، مسايرةً لما ذهب إليه جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية[١٤]، باعتبار ناهض بن ثومة رابع أربعة جمعهم تحت مظلة شعراء لم يتحضَّروا؛ وهم كلثوم بن عمرو، وربيعة الرقي، وعمارة بن عقيل في العصر العباسيّ الأول، دون أن يُحدّد تاريخيًا لوفاة ناهض، واستثنى الأول منهم (كلثوم بن عمرو)، وخصه بتاريخ ٢٢٠هـ، فاتخذ الزركلي ذلك التاريخ مقاربةً لوفاة ناهض.

أما كنيته، فقد كان يُكنى أبا العطاف، كما ذكر الأصبهاني[١٥].

٣- شعر ابن ثومة:

السِّمة التي طبعت شخصية ناهض بن ثومة، كونه شاعرًا بدويًّا فارسًا

فصيح اللسان، دفعت رواة اللغة في القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى البحث في البادية عن الشعراء الذين لم تفسد المدينة لسانهم، ولا الحضارة طباعهم، فكان شعر ناهض هو ما يَنْشُدون إليه باعتبار أن صاحبه بدوي لم يتحضر، واللغة عند ذاك ستكون سليمة لم يدخلها اللحن. وكان جدُّه نَصيح شاعرًا.

وهذا ما دفع رواة اللغة - من أمثال الرياشيّ - إلى احتضان شعره والأخذ به استشهادًا على صحة المفردة وسلامة نطقها، فترك لنا مقطَّعات تنمُّ عن هذا التوجه، فضلاً عن قصائد تجاوزت هذه المقطَّعات إلى أكثر من ثلاثين بيتًا، اختصر الأصبهاني في أغانيه طولها.

أما الأغراض الشعرية التي عُرِف بها، فهي الهجاء الذي وظَّفه لخدمة قبيلته (كلاب). فكان يهجو رجلًا من بني الحارث بن كعب، يقال له نافع بن أشعر الحارثي، فأثرى عليه ناهض؛ أي كان أكثر منه شاعريَّة[١٦]. وكثيرًا ما هجا بني نُمير، الذين كانت لهم أيام حرب مع بني كلاب. ولعل هجاء جرير للراعي النميريّ يقربنا من مثلث (كعب/ كلاب/ نمير) وهو يقول[١٧]:

فَغُضَّ الطَّرفَ إنك من نُمَيْرٍ فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

ولا يكون الهجاء مُرًّا إلا إذا طعّمه الشاعر بالفخر بقبيلته كلاب. فكان الفخر غرضًا ملازمًا لشاعر القبيلة، ومثالنا لذلك قصيدته رقم (١) دون أن ينسى فروسيته، وفخره بنفسه كما في قصيدته (٣/الأبيات ١٣-١٥)، أو المقطَّعة (٦) يغطِّي أبياته بالوصف غرضًا لصوره الشعرية من حياته في البادية.

أما مطالع قصائده، فهي لا تفارق طَلليّات الشعر العربي، ومثالنا إلى ذلك مطلع قصائده (٣)، (٤)، (١٠). ولذا جاءت قصائده لا تحمل رؤية عميقة للحياة قدر ما تصوّر حياة البادية وصراع الإنسان فيها من أجل البقاء، وما يراه من ظواهر في شعره.

أما ديوان شعره، فلم يرد في المظان التراثية خبر عن جمعه، أو قام واحد من

الرّواة بصـنعه، إلاّ ما أُخذ عنه للاستشهاد اللغويّ خلال العصر العباسي. وهذا ما دفع بي إلى جمع شـعره الذي لا يصـنع ديوانًا، بل مقطَّعات أوردتها المصـادر التراثية برواية ثانية للنص، تمكنت من جمع مئة وستة أبيات، توزعت ثلاثة عشر نصًا.

خطتي في هذا المجموع.

١- رتبـتُ القوافي هجائيًا، وحسـب حركة حرف الرَّوي (الضـمة/ الفتحة/ الكسرة/ السكون).

٢- أخذت برواية قِدَم المصـدر. ورتبت المصادر حسب هذا القدم؛ أي تاريخ وفاة المؤلف في تخريج النصّ الشعريّ.

٣- نبهـت علـى اختلاف رواية النصّ، وشـرحت المفردات حسـب أهميتها، مستأنسًـا بهوامش المحققين إن وجدت، دون إهمال المعجم العربي في حالة عدم وجود المعنى.

٤- حاولت ضـبط الشـكل قدر ما اسـتطعت، معتمدًا على المصـدر نفسه أو المعجم إذا لم يضبط فيه شكلاً أو صحة.

٥- قدمت للقصيدة أو المقطَّعة بحرها الذي نُظمت أبياتها عليه.

٦- ذكرت المناسبة التي كانت وراء نظم الشعر.

آمل أن أكون قد أضفت جديدًا لديوان الشعر العربي بما صنعته.

شعر ناهض بن ثومة الكلابيّ

(١) (من الوافر)

١- يُحضضنا عُمارة في نميرٍ ... ليَشْغلَهم بنا وبه أرابوا

٢- ويزعم أننا حُزْنا وأنا ... لهم جار المقربة المصابُ

٣- سَلوا عنا نميرًا هل وقعنا بنزوتها التي كانت تهابُ
٤- ألم تخضع لهم أسدٌ ودانت لهم سعد وضبَّة والربابُ
٥- ونحن نَكْرّها شعثًا عليهم عليها الشِّيبُ منا والشبابُ
٦- رغبنا عن دماء بني قُرَيع إلى القَلْعين إنهما اللبابُ
٧- وقلنا للدليل أقِمْ إليهم فلا تَلْغَى لِغيْرهم كِلابُ
٨- صَبَحناهم بَأرعَنَ مكفهرٍّ يَدفُّ كأن رايتَه العقابُ
٩- أجشَّ من الصواهل ذي دويٍّ تلوح البيض فيه والحرابُ
١٠- فأشعلَ حين حلَّ بواردات وثار لنقعه ثمَّ انصبابُ
١١- صبحناهم بها شعث النواصي ولم يُفْتَق من الصبح الحجابُ
١٢- فلم تُغمَد سيوف الهند حتى تعيلت الحليلةُ والكعابُ

التخريج: الأغاني ١٣/١٨٧ (ما عدا البيت السابع)، تهذيب اللغة (قلع) (البيتان السادس والسابع) دون نسبة، الصحاح (لغو) (عجز البيت) دون نسبة، تاج العروس (قلع) (البيتان السادس والسابع)، لغو (ما عدا الثاني).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

١- لشغلهم بدلاً من ليشغلهم في تاج العروس/ يُحصصنا: يحملنا عليهم. أرابو: تشككوا.

٦- القلعان: هما صلاءة وشُريخ ابنا عمرو بن خويلفَة من بني نُمير.

٨- يدبُ بدلاً من يدف في تاج العروس. يدف: يدب ويسير بلين.

٩- أخش بدلاً من أجش في تاج العروس، أجش: الغليظ الصوت.

١٠- واردات: هضبات عن يسار طريق مكة وأنت قاصدها.

١٢- تعيلت: أهملت لموت عائلها. الكعاب: جمع كاعب، وهي مَن نهد ثديها وبرز.

مناسبة النصّ: الغارات بين القبائل في جزيرة العرب، هي القاعدة في حياة البادية. فيذكر أبو الفرج الأصبهاني أنّ قبيلة كلاب ارتحلت لمقاتلة نُمير في هضبات يقال لهنَّ واردات، فقتلوا واجتاحوا، وفضحوا نُميرًا ثم انصرفوا، فقال ناهض بن ثومة هذا النصّ مجيبًا عُمارة بن عقيل الذي حَرّض كعبًا وكلابًا ابني ربيعة على نمير بأبيات مطلعها:

رأيتُكما يا ابْني ربيعةَ خُرْتُما وعَوّلتُما والحربُ ذات هريرِ

- الأغاني ١٣/١٨٦-١٨٧.

(٢) (من الطويل)

١- ألا هل أتى كعبًا على نأي دارهم وخذلانهم أنا سَرَرنا بني كعبِ
٢- بما لقيتْ منا نُميرٌ وجمعُها غَداةَ أتينا في كتائبنا الغُلبِ
٣- فيا لك يومًا بالحمى لانرى له شبيهًا وما في يوم شيبان من عتبِ
٤- أقامت نمير بالحمى غير رغبةٍ فكان الذي نالت نمير من النهبِ
٥- رؤوس وأوصال يزايل بينها سِباعٌ تَدلّت من أبانَيْنَ والهضبِ
٦- لنا وقعاتٌ في نمير تتابعت بضيمٍ على ضَيم ونكبٍ على نكبِ
٧- وقد علمتْ قيسُ بن عيلان كلُّها وللحرب أنباء بأنا بنو الحربِ
٨- ألم ترهم طُرًّا علينا تحزّبوا وليس لنا إلا الرُّدَينيّ من حزبِ
٩- وإنا لنقتادُ الجيادَ على الوجى لأعدائنا من لا مُدان ولا صقبِ
١٠- ففي أي فجٍّ ما ركزنا رِماحَنا مخوفٍ بنصب للعداحين لا نصبِ

التخريج: الأغاني ١٣/١٨٥-١٨٦.

معاني المفردات:

(٢) الغُلب: جمع غلباء، وهي العزيزة الممتنعة.

(٥) يزايل: يفارق. الأبانان: جبلان يقال لأحدهما: الأبان الأبيض وهو لبني فزارة، والأبان الأسود لبني أسد. وقال ابن منظور في اللسان (ابن) عكس ذلك.

(٦) نكب: كالنكبة، وهي المصيبة.

(٨) الرُّديني: الرمح المنسوب إلى ردينة وهي امرأة سَمْهر. وكانا يقوّمان الرماح. من حزب: من جماعة تنصرنا.

(٩) الوجى: الوجع في حافر الفرس. المدانيّ: القريب وكذلك الصقب.

(١٠) النصب: الشر.

مناسبة النصّ: الغارة التي شنتها كلاب على نمير لم تشارك فيها كعب، بالرغم من عمومة كلاب وكعب، كونهما أبناء ربيعة، فما كان من الشاعر ناهض بن ثومة إلا هجاء كعب. وفي هذا يقول الأصبهاني: «وكانت بنو كعب قد اعتزلت الفريقين، فلم تصب كلابًا ولا نميرًا، فلما ظفرت كلاب قال لهم ناهض».

- الأغاني: ١٣/ ١٨٥.

(٣) (من الوافر)

١- أمن طلل بأخطب أبَدته ... نجاء الوبل والدّيَمُ النضاحُ
٢- وَمرُّ الدهر يومًا بعد يومٍ ... فما أبقى المساءُ ولا الصباحُ
٣- فكلُ مَحلّة غنيت بسلمى ... لربَدات الرياح بها نُواحُ
٤- تَطُلُّ على الجفونِ الحزن حتى ... دموع العين ناكزةٌ نزاحُ
٥- هنيئًا للعِدَى سخطٌ وزَعمٌ ... وللفرعين بينهما اصطلاحُ
٦- وللعين الرُّقادُ فقد أطالت ... مساهرة وللقلب انتجاحُ
٧- وقد قال العُداةُ نرى كلابًا ... وكعبًا بين صلحهما افتتاحُ
٨- تداعوا للسَّلام وأمر نُجْح ... وخير الأمر ما فيه النجاحُ
٩- ومدُّوا بينهم بحبال مَجْدٍ ... وثدي لا أجَدُّ ولا ضَبَاحُ
١٠- ألم ترَ أنّ جَمْعَ القوم يُخشى ... وأنّ حَريمَ واحدهم مباحُ
١١- وأنّ القدحَ حين يكون فردًا ... فيُهْصرُ لا يكونُ له اقتداحُ
١٢- وإنك إن قَبضت بها جميعًا ... أبت ما سمت واحدها القداحُ

١٣- أنا الخطَّارُ دون بني كلاب وكعبٍ إن أُتيح لهم متاحُ
١٤- أنا الحامي لهم ولكل قرمٍ أخٌ حامٍ إذا جدّ النِّضاحُ
١٥- أنا الليثُ الذي لا يزدهيه عُواءُ العاوياتِ ولا النباحُ
١٦- سَل الشعراء عني هل أقرَّت بقلبي أو عفت لهمُ الجراحُ
١٧- فما لكواهل الشُّعراءِ بُدٌّ من القَتَب الذي فيه لحاحُ
١٨- ومن توريك راكبه عليهم وإن كرهوا الركوب وإن ألاحوا

التخريج: الأغاني ١٣/١٨٢-١٨٣، محاضرات الأدباء ١/٥٥٨ (البيتان العاشر والحادي عشر).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(١) أخطب: اسم جبل بنجد. أبدته: أوحشته. نجاء: شدّة. الديم: جمع ديمة، المطر الخفيف الدائم. النضاح: التي تنضح بالماء

(٣) غنيت: عمرت. الربدات: جمع ربدة، وهي الريح كثيرة الهبوب.

(٤) تطلّ: أراد بها أنها تهدر الحزن وتبطله.

(٩) الأحد: المقطوع. الضباح: اللين الرقيق الممزوج.

(١٠) يُحشى: بدلاً من يخشى في الأغاني.

(١١) القدح: العود. يهصر: يكسر. الاقتداح: الضرب به.

(١٣) الخطار: الذي يخطر بالسيف ويهزه معجبًا. المتاح: ما يتاح ويقدر.

(١٤) القرم: السيد. النضاح: الدفاع، يقال هو ينافح عن قومه؛ أي يذب عنهم في هذا البيت.

(١٦) عفت: زالت وانقطعت.

(١٧) القتب: الرحل. اللحاح: العقر والكسر.

(١٨) التوريك: الاعتماد على الورك. ألاحوا: أعرضوا.

(*) بعد البيت الرابع قال أبو الفرج الأصبهاني: «وهي طويلة يقول فيها»، وهذا يعني أن هذه الأبيات هي من القصيدة وليست كلها.

مناسبة النصّ: نشبت معركة بين بني كلاب وبني كعب، لكن العقلاء منهم تدخلوا لإيقافها بالصلح بينهما، فقال ناهض:

(٤) (من الطويل)

١- **لِمَنْ طُلَلٌ بَيْنَ الكَثيب وأخْطب ... مَحَتْه السَّواحي والهَدام الرَّشائشُ**

٢- **وجَرُّ السَّواني فارتَمَى فوقَهُ الحَصَى ... فدفُّ النَّقا منه مُقيمٌ وطائشُ**

٣- **ومَرُّ الليالي فهو من طول ما عَفَا ... كبُرْدِ اليماني وَشّهُ الحبرَ نامشُ**

التخريج: معجم البلدان/ أخطب، تاج العروس/ نهض، خطب (الأول فقط)، وشوش (الثالث فقط).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(١) حمته بدلاً من محته في معجم البلدان.

السواحي: مجارف الطين.

(٢) قومه بدلاً من فوقه في معجم البلدان.

(٣) وَشْيُه بدلاً من وشه في تاج العروس (نهض).

الجر بدلاً من الحبر في تاج العروس (وشوش).

مناسبة النص: في تفسير ياقوت الحموي لمفردة أخطب، وضع احتمالين: أحدهما كون الكلمة تدل على اسم تفضيل والأخرى اسم جبل بنجد. وهذا هو الشائع الذي أخذ به صاحب التاج.

(٥) (من الطويل)

١- **فما العهدُ من أسماءَ إلا مَحَلّةً كما خُطَّ في ظهر الأديم الرواقشُ**

٢- **برُمْحين أو بالمنحنى دبَّ فوقها سَفا الريحُ أو جذع من السهل خادِشُ**

التخريج: معجم البلدان (رُمْحٌ)

معنى المفردة:

(١) الرواقش: الرقش هو تزويق الكلام.

مناسبة النصّ: يثني ناهض على قومه باعتبار أنّ (ذات الرمح) في ديار بني كلاب لبنى عمرو بن ربيعة، وهي ماء لهم قد حافظوا عليها.

(٦) (من الطويل)

١- **أنا الشاعر الخطّارُ من دُون عامرٍ وذوالضَّغْمإذبعضُالمحامينناهشُ**

٢- **بخبطٍ كخَبْطِ الفيلِ حتى تركته أُميمًا به مُسْتدمياتٌ مقارشُ**

التخريج: الحيوان ١١٢/٧

معنى المفردة:

(٢) الأميم: الذي بلغت طعنته أم الدماغ. في الحيوان: مقاش والصواب ما أثبتناه.

- كما يرى عبد السلام محمد هارون: «يقال: أقرشت الشجة، فهي مقرشة، إذا صدعت العظم ولم تهشم».

مناسبة النص: يتباهى ناهض بقوته ويقرنها بالفيل الذي إنْ رمى أحدهم شخصًا تحته، فإنه لن ينجو من الموت.

(٧) (من البسيط)

١- **تَقَمَّمَ الرَّملَ بالضُّمْرين وابلُهُ وبالرَّقاشَين من أسْباله شَمَلُ**

التخريج: معجم البلدان/ ضُمَّرٌ

معنى المفردة:

(١) الضمران: هما الضمر والضائن، ماآن لبنى سلول.

وابله: الوابل: المطر الشديد. الرقاشان: مثنى رقّش؛ أي حَسّن الخط ،وتأتي اسمًا لجبلين.

مناسبة النصّ: يذكر ناهض أن الضمرين والرقاشين في ملتقى دار كعب وكلاب.

(٨) (من الوافر)

١- سلامُ الله يا مالِ بن زيد ... عليكَ وخير ما أُهدي السلاما

٢- تعلَّمْ أيّنا لكمُ صديق ... فلا تستعجلوا فينا الملاما

٣- ولو كُنَّا وحيُّ بني نمير ... عُداةٌ لا نرى أبدًا سلاما

٤- وإن كنا تكافَفْنا قليلاً ... كحرفِ السيف ينهار انهداما

٥- وهَيْضُ العظم يصبح ذا انصداع ... وقد ظنَّ الجهولُ به التئاما

٦- فلن ننسى الشبابَ المُرْدَ منَّا ... ولا الشِّيبَ الجحاجِحَ والكراما

٧- ونَوْحَ نوائحٍ منا ومنهم ... مآتمَ ما تجف لهم سجاما

٨- فكيف يكون صلحٌ بعد هذا ... يُرجِّي الجاهلون لهم تماما

٩- ألا قُلْ للقبائل من تميم ... وخُصَّ لمالكٍ فيها الكلاما

١٠- فزيدوا يا بني زيد نُمَيْرا ... هَوانا إنه يُدْني الفِطاما

١١- ولا تُبقوا على الأعداء شيئًا ... أعزَّ اللهُ نصركم ودامَا

١٢- وجدتُ المجدَ في حيَّيْ تميم ... ورَهْطِ الهَذلق الموفي الذِّماما

١٣- نُجومُ القوم ما زالوا هُداةً ... وما زالُوا لآبيهم زِماما

هُمُ الرأس المقدَّم من تميم ... وغاربُها وأوَفاها سَنَاما

إذا ما غاب نجمٌ آب نجمٌ ... أغرُّ نرى لطلعته ابتساما

فهذي لابن ثُومةَ فانسبُوها إليه لا اختفاءَ ولا اكتتاما
وإن رغِمت لذاك بنو نُمَيرٍ فلا زالت أنوُفُهم رَغاما

التخريج: الأغاني ١٣/ ١٨٤-١٨٥، تاج العروس/ نهض (السادس عشر)/ ثوم (السادس عشر).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(٣) **العرب:** في الأغاني (ولكنَّا... عداةٌ)

(٤) تكاففنا: كفّ بعضنا عن بعض. السِّيف (بكسر السين): جانب الشاطئ.

(٥) الهيض: الكسر بعد الجبر.

(٦) الجحاجيح: سادة القوم. جمعه جحجيح.

(٧) السجام: دمع العين وهو يسيل.

(١٢) الهذلق: هو ابن بشير أخو بني عتيبة ابن الحارث بن شهاب.

(١٣) الآبي: الكاره.

(١٤) الغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعنق.

(١٦) أخت بدلاً من ابن في تاج العروس/ نهض، ثوم)

- الاكتتام: الاختفاء.

(١٧) رغم: ذل. وأنوفهم رغام: أي ذليلة.

مناسبة النصّ: ذكر أبو الفرج الأصبهاني «أنَّ وقعة كانت بين بني نُمَير وبني كلاب بنواحي ديار مُضر، وكانت الغَلَبة لكلاب، وأنّ نميرًا استغاثت ببني تميم. ولم تجب تميم خوفًا من توسع الحرب، وعرضوا الصلح بين القبيلتين، فقال ناهض محرِّضًا لرفض الوساطة.

(٩) (من الوافر)

١- أغـرُّ يـفـرِّجُ الـظَّـلْـمـاء عَـنْـهُ يُـفَـدَّى بـالأعَـمَّ وبـالأبـيـنَـا

التخريج: لسان العرب/ أبي.

مناسبة النصّ: قال ابن منظور: «وشاهد قولهم أبون في الجمع قول ناهض الكلابّـي لمن ذهب في هذا الرأي، فجاءت لفظـة أبين جمعًا مجرورًا مع علمنا أن أب تجمع آباء».

(١٠) (من الطويل)

١- ألا يا اسلما يا أيُّها الطللان وهلْ سالمٌ باقٍ على الحَدَثانِ
٢- أبِينا لنا حُيِّيتما اليومَ إننا مُبينان عن مَيْلٍ بما تسلانِ
٣- متى العهدُ مِنْ سلمى التي بتَّتِ القُوى وأسماء إنَّ العهد منذ زمانِ
٤- ولا زال ينهلُّ الغُمامُ عليكما سبيلَ الرّبى من وابلٍ ودجانِ
٥- فإن أنتما بيّنتما أو أجبتما فلا زلتما بالنبت ترتديانِ
٦- وجُرَّ الحريرُ والفرندُ عليكما بأذيال رَخْصَاتِ الأكُفِّ هجانِ
٧- نظرتُ ودوني قِيدُ رُمحين نظرةً بعينين إنساناهما غرقانِ
٨- إلى ظُعُنٍ بالعاقرَين كأنّها قرائنُ من دَوحِ الكثيب ثمانِ
٩- لسلمى وأسماءَ اللتَيْن أكنَّتَا بقلبي كَنينَي لوعةٍ وضمانِ
١٠- عسى يُعقبُ الهجرُ الطويل تدانيًا ويا رُبَّ هجرٍ معقبٍ بتداني
١١- خليليَّ قد أكثرتُما اللوم فاربعا كَفاني ما بي لو تركتُ كفاني
١٢- إذا لم تصلْ سَلمى وأسماءُ في الصبا بحبليْهما حَبْلي فمن تصلانِ
١٣- فدع ذا ولكن قد عجبتُ لنافع ومعواه من نجرَانَ حيث عواني
١٤- عوى أسدًا لا يزدهيه عواؤه مقيمًا بلوذي يذبلٍ وذقانِ
١٥- لعمري لقد قال ابن أشعرَ نافعٌ مقالة موطوء الحريم مهانِ
١٦- أيزعُم أن العامري لفعله بعاقبةٍ يمرى به الرجوانِ
١٧- ويذكر إن لاقاه زلة نَعلِه فجيء للذي لم يستبن ببيانِ

١٨- كذبت ولكن بابن علبة جعفرٍ فدَع ما تمنى زلتِ القدمانِ
١٩- أصيب فلم يُعقَل وطل فلم يُقَد فذاكَ الذي يَخزَى به الأبوانِ
٢٠- وحق لمن كان ابن أشعر ثائرًا به الطّلُّ حتى يحشر الثقلانِ
٢١- ذليلٌ ذليل الرهط أعمى يسومهُ بنو عامر ضيمًا بكل مكانِ
٢٢- فلم يبق إلا قولُه بلسانه وما ضَرَّ قولٌ كاذبٌ بلسانِ
٢٣- هجا نافعٌ كعبًا ليدرك وِتره ولم يهجُ كعبٌ نافعًا لأوانِ
٢٤- ولم تعفُ من آثار كعبٍ بوجهه قوارعُ منها وُضَّحٌ وقوانِ
٢٥- وقد خَضّبوا وجه ابن علبةَ جعفرٍ خضابَ نجيعٍ لا خضاب دِهانِ
٢٦- فلم يهجُ كعبًا نافعٌ بعد ضربةٍ بسيفٍ ولم يطعنْهُمُ بسنانِ
٢٧- فما لكَ مَهْجَى يا بن أشعر فاكتَعم على حجر واصبر لكلِّ هوانِ
٢٨- إذا المرءُ لم ينهض فيثأرْ بعمِّه فليس يُجلّى العارُ بالهذيانِ
٢٩- أبي قيسُ عيلانٍ وعمّيَ خندفٌ ذوا البذخ عند الفجر والخطرانِ
٣٠- إذا ما تجمَّعنا وسارت حِذاءنا ربيعةُ لم يُعَدَل بنا أخوانِ
٣١- أليس نبيَّ الله منّا محمدٌ وحمزةُ والعباسُ والعمرانِ
٣٢- ومنا ابن عباسٍ ومنا ابنُ عمِّه عليٌّ إمامُ الحقِّ والحسنانِ
٣٣- وعثمانُ والصّديق منا وإننا لنعلَم أنّ الحقَّ ما يعدانِ
٣٤- ومنا بنو العباس فضلاً فمن لكم هَلُمُّوه أولاً ينطقنَّ يمانِ

التخريج: الأغاني ١٣/١٧٥-١٧٧، الوافي بالوفيات ٢٠/٣١٤ (الأول - السادس باختلاف الترتيب).

اختلاف الرواية ومعنى المفردات:

(٢) مثل بدلاً من ميل، وتسألان بدلاً من تسالان في الوافي الوفيات.

(٣) جاءت (القوى) مع الشطر الأول في الوافي.

بتت: قطعت.

(٤) جاءت (سبيل) مع الشطر الثاني في الوافي.

الوابل: المطر الشديد، دجان: الأمطار الكثيرة.

(٥) النبت بدلاً من النور في الوافي.

(٦) الفرند: ضرب من الثياب. الهجان: البيض.

(٧) قِيد (بكسر القاف): القدر والمقدار.

(٨) الظُعُن (بضم الأول والثاني): الهودج، وأيضًا المرأة في داخله.

(العاقرين): أرضان في وادي العقيق. المتمثلات: المتكافئات.

الروح: الشجر. الكثب: الرمل.

(٩) كنيتي: مثنى كنين، أي مكنون: محفوظ.

(١١) أربعا: أمسكا وتوقفا.

(١٣) مغواه: صوته.

(١٤) اللوذ: جانب الجبل وما يطيف به. يذبل وذقان: جبلان.

(١٥) الموطوء: المداس، المحتقر.

(١٦) الرجوان: من استهين به استهزاء، والرجا: الناحية.

(١٩) لم يعقل: لم يؤدَّ دِيَنُه. الطلّ: هدر الدم.

(٢٤) القوارع: الإصابات. الوضح: الإصابة في الوجه. القواني: الشديدة الحمرة.

(٢٥) النجيع: دم الجوف.

(٢٧) اكتعم: قال محققو الأغاني عنها: «لم توجد في المعجمات» .. أقول: إنّ السياق يقرِّبنا إلى مادة (كعم) التي تعني شَدَّ فاهُ. والمراد: أغلق فمك.

(٢٩) الخطران: أن يرفع المحارب رمحه وسيفه، ثم يضعها أخرى،

مناسبة النص: القصيدة هي هجاء نافع بن أشعر الحارثي، وهو من بني الحارث بن كعب، وسجل انتصاره عليه بها، على رأي الأصبهاني.

(١١) (من الوافر)

١- سُلَيمْى لو شَهدتِ مُرامَرات وقَدْ حَشَد القبائل يَنْظران
٢- إلى ابن أخيها لما اسْتَهلّت سمي الموت في قَلع دَوان
٣- لطَامَنْتِ القَنَاعَ ولم تراعي وأسبَغت القُنَانَ على البنان

التخريج: التعليقات والنوادر ١/٢١٧-٢١٨.

معنى المفردات:

(١) مرامرات: اسم مكان.

(٢) قلع: قطع من السحاب وكأنها الجبال.

(٣) القنان: جمع القن: كُم القميص.

مناسبة النصّ: قال أبو علي الهَجَريَ في تعليقه: «أهل السَهْل يُسمَّوْن الكم القُنَان والجمع آقنّه. قال: ولا يعرف في كلامنا غيره».

(١٢) (من الوافر)

١- يُقاتِلُ مَرَّةً ويَعِينُ أُخرى فَفَرَّتْ بالصَّغار وبالهَوانِ

التخريج: لسان العرب (عين)، تاج العروس (عين).

مناسبة النص: استشهد ابن منظور في اللسان على أن اعتان لنا بمعنى أوتاد لنا... وأن عانَ لهم كاعتان.

(١٣) (من البسيط)

١- يا حَبَّذا عمَلُ الشيطان من عمل إنْ كان من عَمل الشيطان حُبِّيها
٢- لَنَظرةٌ من سُليمى اليومَ واحدةٌ أشهى إليّ مِنَ الدُّنيا وما فيها

التخريج: الأغاني ١٣/ ١٧٤.

معنى المفردة:

(١) حبيها: أي حبي إياها.

مناسبة النصّ: استشهد به الرياشيّ بقوله: «أنشدنا ناهض بن ثومة أبو العطاف الكلابيّ هذين البيتين لنفسه».

الهوامش:

(*) العرب: تنشر العرب هذا البحث المتضمن جمعًا لشعر ناهض بن ثومة الكلابي على اعتبار أنه معالجة جديدة لشعر هذا الشاعر، وإلا فإن الباحث مسبوق بجمع أقدم لشعر ناهض قام به الدكتور إبراهيم النجار في كتابه "مجمع الذاكرة، أو شعراء عباسيون منسيون" (الجامعة التونسية، ١٩٨٧م) مستخدمًا المصادر نفسها ما عدا في بعض الأبيات. ولا يزيد عمل الباحث الجديد عبدالعزيز إبراهيم (١٠٦ أبيات) على عمل الدكتور النجار (٩٩ بيتًا) إلا بسبعة أبيات هي: (٦/٧ و٧، و٩ و١١ (٣أبيات) و١٢).

وقد سبق للعلامة حمد الجاسر أن عقب على عمل الدكتور النجار عند صدوره بتعقيب مفيد، وذلك ببحث عنوانه "شعر ناهض بن ثومة الكلابي"، (العرب ج١، ٢س ٢٥ رجب / شعبان ١٤١٠هـ - شباط / آذار (فبراير / مارس) ١٩٩٠م، ص ص ١-٢٣) أشار فيه إلى أن النجار جمع ٩٩ بيتًا، في سبع مقطوعات، وبين أن شعر ناهض الباقي أكثر من ذلك، واستدرك عليه ١٣٣ بيتًا ذكرها الهجري في "التعليقات والنوادر" منها ٣ أبيات وردت في القسم المطبوع منه (أوردها د.عبدالعزيز إبراهيم في مجموعة). وتتمثل الزيادات في ٣ قصائد طوال، منها القصيدة الشينية التي أورد منها كل من د. النجار ود.إبراهيم ٧ أبيات، وهي في "التعليقات والنوادر" تتكون من ٥٠ بيتًا وهذه الزيادات جاءت في مخطوطة الجمعية الآسيوية في كلكتة في الهند، في القسم الذي لم ينشر في المطبوعة العراقية، وقد أوردها الجاسر في بحثه، ثم نشرها فيما بعد كاملة في كتابه: "التعليقات والنوادر، دراسة ومختارات" (٢/٨٨٨-٨٩٥).

ويحسنّ ضم هذه الزيادات التي تفوق ما جمعه الباحثان الكريمان (د.النجار ود.إبراهيم) إلى شعر ناهض، حتى يتكون منه مجموع شعري مستقل يضم أكثر من ٢٤٠ بيتًا، مع الإشارة إلى جهود من سبق من الباحثين في الجمع والاستدراك.

أ.م.ض.

(*) الديوانية ـ **العراق**.

(١) **الأغاني** ١٣/١٧٥.

(٢) **تاج العروس** (نهض) ١٩/٥٤.

(٣) ما ذكره الزبيديّ في **التاج**، مادة (لغو) هو: «قال شيخنا: والبيت نسبوه لناهض الكلاعي وصدره (وقلنا للدليل أقم إليهم»: ج٢٩/٢٣٢. ولم يقل الشيخ، بل قال ما نصه في **القاموس المحيط** مادة (لغو) يُغلّط فيه الجوهري صاحب **الصحاح** فيقول: «وقول الجوهري لنباح الكلب لغو واستشهاده بالبيت باطل. وكلاب في (بيت) ابن أبي ربيعة بن عامر لا جمع كلب». ج/٣٨٦. مع علمنا أن الجوهري في مادة (لغو) لم يذكر صاحب البيت، واكتفى بعجزه. (ج٦/٢٤٨٣).

(٤) **الأغاني**: ١٣/ ١٧٥ – ١٧٨.

(٥) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**: ١/٥٥٨.

(٦) **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٣١٤.

(٧) **تاج العروس من جواهر القاموس** ١٩/٥٤، ٣٩/٢٣٢.

(٨) **تاريخ آداب اللغة العربية** ٢/٣٩٨.

(٩) **الأعلام** ٨/٦.

(١٠) **طبقات النحويّين واللغويّين**/ ٩٩، وينظر الفهرست/ ٦٤.

(١١) المصدر نفسه: ١٨١، وينظر الفهرست/ ٦٠.

(١٢) **الوافي بالوفيات**: ٢٠/٣١٤.

(١٣) **الأعلام**: ٨/٦.

(١٤) **تاريخ آداب اللغة العربية**: ٢/٣٩٨.

(١٥) **الأغاني**: ١٣/١٧٤.

(١٦) المصدر نفسه: ١٣/١٧٥.

(١٧) **ديوان جرير**: ٢/٨٢١.

(١٨) **العرب**: البيت الثاني في الجمل في النحو للخليل بن أحمد، تحقيق قباوة وقافيته (قوارش) ص٢١٥.

(١٩) **العرب**: وأيضًا في الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ص٢٠٩.

وبلاد العرب المنسوب للغدة ص١٥١.

عوامل قيام النشاط التجاري البحري

لجنوب الجزيرة العربية في العصر الإسلامي والوسيط

(٢)

أ.د. محمد عبده السروري(*)

١- **الجزر الواقعة بين الصين والهند**: توجد عدة جزر وبلدان بين الهند والصين كانت لها علاقات تجارية مع البلاد العربية وفيها أنواع السلع التجارية، منها الآتي:

جزيرتا قماري والصنف غرب الصين: وأهم السلع التجارية بهما العود الجيد، وأفضلها العود الصنفي(١). ويستوطن جزيرة الصنف «مسلمون ونصارى وعُباد الأصنام»، وكان دخول الإسلام إليها منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم استوطنها العلويون الفارُّون من بني أمية والحجاج(٢).

وعن السلع التجارية الأخرى التي كانت توجد في بلدان جزيرة الصنف، فهي: «الكافور والجوزبوا والبسباسة والقرنفل والقافلة والكبابة»، ومثلها يوجد في جزيرة ملاي(٣).

جزيرة البكبالوس (النجبالوس): ومن أهم السلع الموجودة فيها: العنبر والنارجيل والحديد، إلا أن أكثر تجارتهم بالحديد. وكانت المراكب التجارية الصغيرة والكبيرة تأتي إليهم لشراء هذه السلع(٤).

جزيـرة إندونيسـيا Indonesia– جاوةJaw : هي مـن المراكز التجارية المهمـة التي كان التجار العرب والمسـلمون يصـلون إليها. وأهم السـلع التجارية الموجودة بها هي: الأفاوية العطرة والعود الطيب والقاقلي والقامري والقنصـوي والعودي الجاوي. بالإضافة إلى الكافور والقرنفل والبسباسة[٥]. وهي السلع التي كان التجار يأتون لاسـتيرادها. كما وجد بها سـلع ثمينة؛ مثل جوز الطيب وسنبل الطيب والخلجان والفلفل، وأنواع التوابل والعقاقير[٦]، فضـلاً عن ذلك وجد بها الغضائر الصين التي كانت تصدر إلى سائر البلدان.

جزيـرة الرامني أو الرامي (سـومطرة) Sumatra: من المراكز التجارية التي كانت لها علاقة تجارية مع التجار العرب والمسلمين. ومن أهم السلع التجارية الموجودة بها: الذهب والفضة، والكافور الجيد، وأنواع الأفاوية، واللؤلؤ الفائق في الجودة، والكركدن، والخيزران، والبقم، والنارجيل، وكان أهل هذه الجزيرة إذا اجتـاز بلادهم مركب تجاري تبادلوا معهم السـلع التجاريـة، فيبيعونهم العنبر، ويشترون منهم الحديد[٧].

وكان أهـل عُمـان ومربط من بـلاد اليمن أحيانًـا يأتون إلى هـذه الجزائر ومعهم آلة النجارة وآلة القطع وغيرها لقطع ما أرادوا من خشب النارجيل، وبعد أن يجف يحملونه إلى بلادهم لبيعه لمن يصنع منه المراكب والصواري. كما أنهم يصـنعون من خواصه أشرعة ومن ليفه حبالاً يستخدمونها لربط الخشب بعد أن يجف، أو يسـتخدمونها بدلاً من المسامير في صـناعة المراكب التجارية[٨]، وعلى ذلك فإن خشب النارجيل كان أحد السلع التجارية التي كان يصنع منها المراكب.

كلـه (كلبار) (كله بار) Calah bar: كانت مـن أعظم الموانئ التجارية في العالم آنذاك، لوقوعها من منتصـف الطريق البحري الموصـل بين بلاد الصـين وبـلاد العرب[٩]. وعن نشـاطها التجاري فهي محطة إنزال وتحميل أنواع السـلع التجاريـة بـين أنحاء البلـدان. ومن حيـث وجود السـلع التجارية بها، فتوصـف

بأنهـا «مجمع الأمتعة من الأعواد والكافور والصـندل والعاج والرصـاص القلعي والأبنوس والبقم والأفاوية كلها، وغير ذلك مما يتسـع ويطول شـرحه. والجهاز في هذا الوقت إليها ومنها إلى عُمان واقع»[١٠]، ويسـكنها للعمل التجاري مسلمون وغيرهم. ويتميز الرصـاص القلعي بأنه صـافٍ في الجوهر وكثير، والتجار يأتون لشرائه من أنحاء الأرض[١١].

ويصف المسعودي نشاطها التجاري بقوله: «وإليها تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم»[١٢]. والسـبب في ذلك الخوف من غرق المراكب التجارية الإسلامية لعدم وجود خبرة كافية لربابنة المراكب سلوك الطريق البحري إلى الصين[١٣].

يضـاف إلى ذلك خوف التجار من الصـراع السياسي الذي ينتج عنه زيادة الضـرائب أو تلف تجارتهم. وكانت هذه الحالة، وهي توقُّف مراكب أهل الصـين والعـرب والمسـلمين في كله بار في بداية القرن الرابـع الهجري. أما ما قبل ذلك، فقد كانت المراكب الصـينية تصـل إلى عُمان وسـيراف، يذكر ذلك المسـعودي بقولـه: «وقـد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصـين كانت تأتي بلاد عُمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأُبُلَّة والبصرة»[١٤].

سـرنديب (سـيلان): من المراكـز التجارية المهمـة التي قـدم إليها التجار العـرب، وأهم السـلع الموجودة بها هي: أنـواع اليواقيت بجميـع ألوانها[١٥]. وهو «الجوهر الأحمر والأخضر والأصفر»[١٦].

كما يوجد بها أنواع العطر؛ مثل العود والأفاوية ودابة المسـك ودابة الزبادة، بالإضـافة إلـى البلـور والماس، وأنـواع الأحجار الكريمـة[١٧]، وكان يسـكن هذه الجزيرة «مسـلمون ونصـارى ويهود ومجوس وكفرة»، وكان «لـكل طائفة حاكم لا يبغـي بعضـهم على بعض، وكلهم راجعون إلى ملك المسـلمين يسوسـهم بجمع كلمتهم»[١٨].

وعن نشـاطها التجاري، فقد كان: «إليها تقصـد مراكب أهل الصين وسائر بلاد الملوك المجاور له»، كمان كان يقصدها للتجارة «أهل عُمان ومربط من بلاد اليمن»[١٩].

٢- **الهنـد**: كانـت بـلاد الهند من أهـم البلدان التي كان لها نشـاط تجاري مع البلدان العربية والإسـلامية. وتوصـف بأنها بلد واسـع كثيرة العجائب. وعن النشـاط التجاري معها، فقد كان التجار يصـلون إلى المراكز أو الموانئ التجارية المنتشـرة علـى سـواحلها ويحملون «منها كل طرفة إلى سـائر البـلاد». أما أهم السـلع التجارية الموجودة بها، فهي الياقوت الأحمر، والصندل الأبيض، والمسك، والزبـادة والعنـبر والعـود والكافـور، وجميـع أنواع الطيـب كالقرنفل والسـنبل والدارصـيني (القرفـة) وأنـواع العقاقـير، والعاج والسـاج والتوتيـاء، والماس، والذهب وسيوف الهند وغيرها[٢٠].

ويعد سـاحل المليبار، وهو السـاحل الغربـي للهند، أهم مكان انتشـرت فيه الموانـئ أو المراكـز التجارية لكثرة الفلفل فيه، حيث أطلـق عليه بلاد الفلفل[٢١]. ولأهمية الفلفل فقد كان يحمل من أقصـى المشرق إلى أقصى المغرب، وكان أهم المراكز التجارية في هذا السـاحل هي كولم وقاليقـود وهيلي، التي كانت المراكب الصينية والعربية تصل إليها[٢٢]. ونختصر ذكر أهم المراكز التجارية بالآتي:

كولم Kalam (**كليون**): من أعظم موانئ الهند، ويقع على خور من البحر، كما أنها «من أحسـن بلاد المليبار»[٢٣]، وتقع آخر بلاد الفلفل من الشرق، ويوجد بها حارة خاصة للمسلمين وبها جامع[٢٤].

وعن نشاطها التجاري، فتوصف أسواقها بأنها حِسان، ويوجد بها من التجار المسلمين جماعة كبيرة يلقون فيها الاحترام والتقدير، وكان كبير التجار المسلمين فيهـا أيام زيارة ابن بطوطة هو علاء الدين الإيجي من أهل أوى من بلاد العراق وكان رافضـيًّا، أما كبير التجار المسـلمين، فيها فهو محمد شـاه بندر. ويذكر أن

كولم أول الموانئ الموصلة من بلاد المليبار إلى الصين والعكس، يصل إليها أكثر التجار القادمين من الصين[٢٥]. كما أنها من أهم المراكز التجارية مع إفريقيا، وأيضًا من أهم المراكز التي منها نقلع المراكب التجارية إلى عدن[٢٦].

وتصنع في كولم الغضار الصيني، ولونه داكن، ويصدَّر إلى أنحاء البلدان العربية والإسلامية على أنه صيني، وهو أقل جودة من الغضار المصنوع في الصين، الذي يتميز باللون الأبيض والمتانة وتحمل الحرارة[٢٧].

أما عن أهم السلع التجارية فيها، فهي الأعشاب الطبية والعقاقير والخيزران والساج وغيرها، ومنها تُجلب هذه السلع التجارية إلى عدن، ثم إلى مصر وغيرها[٢٨].

قاليقوط أو كاليكوت Calicut: يوصف مرساها بأنه «من أعظم مراسي الدنيا». وهو بذلك أحد الموانئ الكبيرة أو المراكز التجارية في بلاد المليبار بالهند. وعن نشاطها التجاري، فيوصف بأنه «يجتمع بها تجار الآفاق»، ومن أهمهم تجار الصين وجاوة وسيلان والمهل واليمن وفارس. وكان أمير التجار بها زمن ابن بطوطة إبراهيم شاه بندر من أهل البحرين. أما أشهر التجار بها، فهو الناخوذة مثقال، الذي كان يملك الأموال الطائلة والمراكب التجارية الكثيرة التي كانت تسافر إلى الصين واليمن وفارس[٢٩].

وعن أهم السلع التجارية فيها، فهي «الأحجار الكريمة واللؤلؤ والعطور والتوابل والبخور والحرير الصيني»[٣٠].

منجرور (مانجلور): أحد الموانئ الكبيرة الواقعة على خور كبير، وهو أكبر خور ببلاد المليبار. وعن نشاطها التجاري، فقد كان ينزلها «معظم تجار فارس واليمن». وأكثر ما بها من السلع التجارية: الفلفل والزنجبيل.

مدينة هيلي: من المدن الكبيرة، توصف بأنها حسنة العمارة، وتقع على

خور كبير تدخله المراكب الكبيرة. وعن نشاطها التجاري، فتصل إليها مراكب الصين، ويتوافد إليها الكثير من تجار العرب والمسلمين[٣١].

سندبور (جوا) Goa: من المراكز التجارية المهمة في بلاد الهند. وعن نشاطها التجاري، فتوصف بأنها مجمع الطرق، يستوطنها الكثير من العرب والفرس والهنود والصينين، وتصل إليها المراكب التجارية من عُمان وهرمز وعدن وزيلع وجدة وكامباي. وأهم السلع المستوردة منها: الحرير والفلفل والبهار والزنجبيل والعقاقير وغيرها[٣٢].

ديو Dio: من المراكز المهمة في إقليم جوجيران بالهند، ويستوطنها التجار من العرب والهنود وغيرهم. وأهم السلع التجارية فيها هي التوابل. كما أنه يصل إليها الكثير من السلع التجارية من أنحاء الهند والصين وغيرهما، منها البورسلين والمسك والحرير والصندل والذهب والفضة واللؤلؤ وغيرها[٣٣].

مراكز بلدان الجزيرة العربية:

الموقع: تحتل بلدان جنوب الجزيرة العربية (عُمان واليمن) موقعًا بحريًّا متميزًا، يتوسط طرق التجارة البحرية الدولية، فهي تطل على بحار تتصل بعدة بحار أخرى موصلة إلى عدة بلدان وجزر، مليئة بالسلع التجارية، فكان لها دور كبير في جلب النشاط التجاري البحري إليها.

وعن أهم البلدان التي كان لها نشاط تجاري بحري مع جنوب الجزيرة العربية، فهي من جهة جنوب شرق آسيا: بلاد الصين، وبلدان الهند الصينية، وجزر إندونيسيا (جاوة وسومطرة)، وبلدان الهند والسند، وغيرها. ومن جهة جنوب شرق إفريقيا: البلدان والجزر التي يطلق عليها بلاد الزنج؛ منها: موزنبيق، وتنزانيا، والصومال، وجزر مدغشقر، والقمر، وزنجبار وغيرها. ومن

جهة الشمال عبر البحر الأحمر: مصر، والحجاز (مكة والمدينة)، والحبشة. وعبر الخليج العربي فارس، والعراق، ونجد، والبحرين وسيراف، وقيس وغيرها.

وبسبب هذا الموقع البحري المتميز لليمن وعُمان، فقد ورد عن نشاطهما التجاري قولهم: «من أراد التجارة فعليه بعدن أو عُمان أو مصر»[٣٤]. وفي هذا نختصر وصف النشاط التجاري البحري لأهم موانئ أو مراكز بلدان الجزيرة العربية عُمان واليمن بالآتي:

عُمان: تقع في الركن الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية، وهي تطل على مدخل الخليج العربي، وتتصل بحريًّا بالعديد من البلدان. لذلك كان لعُمان نشاط تجاري كبير، وأهم ما ورد عن نشاطها التجاري ما ينسب روايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «من تعذَّر عليه الرزق فعليه بعُمان»[٣٥]. وتظهر أهمية عُمان، إضافة إلى نشاطها التجاري، أنها كانت محطة وصل تجاري، وهي أن المراكب التجارية القادمة من الصين والهند وشرق إفريقيا إلى فارس والعراق وسيراف والبحرين والبصرة تمر عبرها[٣٦].

وأهم السلع التجارية بعُمان: الخيل العِتاق التي تصدَّر من ظفار إلى الهند[٣٧]، كما كان اللبان يصدَّر من ظفار إلى سائر البلدان[٣٨]. بالإضافة إلى وجود مغاص اللؤلؤ فيها[٣٩]، منها مغاص الدُّر بالبحرين، ووصف دُره بأحسن الأنواع[٤٠].

وعن نشاط أهم المراكز التجارية في عُمان، فقد اختلف كبر حجم نشاطها من وقت إلى آخر بحسب العوامل السياسية أو الاقتصادية، من أهمها صُحار ومسقط وقلهان وظفار وغيرها، نختصر إيرادها بالآتي:

صُحار: تعد صُحار عاصمة عُمان، وتقع على ساحل البحر، وهي من أهم المراكز التجارية في عُمان، وتوصف بأن «بها من التجار والتجارة ما لا يحصى

كثرة». كما توصف بأنها «أعمر مدينة بعُمان وأكثرها مالاً، ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس، بجميع الإسلام، مدينة أكثر عمارة ومالاً من صُحار»[٤١]، وكذلك توصف صُحار بأنها «أقدم مدن عُمان، وأكثرها أموالاً قديمًا وحديثًا، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإليها تجلب جميع بضائع اليمن، وتجهز منها بأنواع التجارات، وأحوال أهلها واسعة ومتاجرهم مربحة»[٤٢].

بالإضافة إلى ذلك توصف صُحار بأنها «دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومعونة اليمن»[٤٣]، فضلاً عن ذلك «كان بصُحار مجتمع للتجار، ومنها يتجهز لكل بلده وإلى بلاد الهند والصين»[٤٤]. هذه الأوصاف تدل على كبر حجم النشاط التجاري لمدينة صُحار بعُمان، وأهميتها كمركز تجاري دولي في العصر الإسلامي.

مسقط: كان لها نشاط تجاري واسع، فتوصف بأنها «مجتمع المراكب التي تخرج من صُحار»[٤٥]، وعن نشاطها التجاري مع البلدان، فقد كانت السفن التجارية تسير من مسقط إلى كانتون بالصين مباشرة دون توقف[٤٦]. كما كانت المراكب التجارية تسير منها إلى كولم في الهند، ومنها إلى كله بار في ماليزيا[٤٧].

قلهات: تقع على ساحل بحر عُمان، وكانت إحدى الموانئ أو المراكز التجارية، وأكثر ما كانت السفن التجارية تصل إليها من الهند بعد الخمسمئة للهجرة، وكانت حينها تابعة لحاكم هرمز[٤٨]. وعندما زارها ابن بطوطة وصف أسواقها بأنها من أحسن الأسواق. وتركزت حياة أهلها على اعتمادهم التجارة التي كانت تأتيهم من الهند وغيرها. ولذلك كانوا يفرحون بوصول المراكب التجارة اليهم[٤٩].

مرباط في ظفار: كانت مرباط فرضة ظفار الحبوضي، وكانت المراكب التجارية تصل إليها من كلوة في شرق إفريقيا[٥٠]. كما كانت تصل إليها من كلة

والهند وعدن، ومنها إلى عُمان أو غيرها. وأهم السلع التجارية التي كانت تجلب منها اللبان، ومنها يحمل إلى سائر البلدان[٥١].

وبخصوص النشاط التجاري لأهل عُمان، مع ما كان يطلق عليه بلاد الزنج في شرق إفريقيا، كانت المراكب التجارية العُمانية والسيرافية تذهب إلى جزيرة قنبلو التي يعتقد أنها الجزيرة الخضراء أو مدغشقر، وإلى سُفالة في موزمبيق ومدنها وجزرها، ومنها الواق واق لجلب السلع التجارية من أهمها الحديد والذهب. إضافة إلى ذلك كان أهل عُمان يجلبون منها إلى بلادهم العاج أو سن الفيل، ومنها يتم تصديرها في الصين والهند[٥٢].

بالإضافة إلى ذلك كان مجمل أنواع السلع التجارية التي كانت سببًا لمجيء التجار إلى قنبلة وسُفالة والزنج قولهم: «إنما جاؤوهم لأن عندهم من الأمتعة ما يصلح لبلادهم والصين، مثل العاج والذبل والنمور والعنبر، ولأنهم يريدون الزنج لصبرهم على الخدمة وجلدهم»[٥٣].

وبالنسبة لنشاط عُمان التجاري مع بلدان جنوب شرق آسيا: كانت المراكب التجارية في بعض الأوقات تصل من الصين إلى عُمان وسيراف والبصرة مباشرة. كما كانت المراكب العُمانية والسيرافية تسير من مسقط في عُمان إلى كانتون في الصين مباشرة دون توقف[٥٤]. من ذلك: وصل سنة ٣٠٠هـ مركب تجاري من الصين إلى عُمان يملك جميع ما فيه تاجر واحد، بلغت عشوره ألف ألف درهم ونيّف، وفي بعض الأوقات كانت المراكب الصينية والعُمانية تصل إلى كله بار، وهي منتصف الطريق بين البلدان، ولا يسمح بعدها بسير المراكب الصينية إلى عُمان أو المراكب العُمانية إلى الصين، بسبب عدم معرفة مسالك الطرق البحرية للبلدان، أو بسبب ظروف سياسية تمنع وصول المراكب التجارية إلى البلدين مباشرة.

كما كانت المراكب التجارية تصل إلى عُمان من عدة بلدان وجزر من جنوب

شـرق آسـيا، منها جزيرة الصـنف وقنصـوه بجـاوة، ومن ذلك أنه وصـل أحد التجار، وهو محمد بن باشـاد بمركبة التجاري من قنصـوه إلى عُمان، ومن كله بار في مالقا، ومنها قدم سنة ٣١٧هـ مركب تجاري إلى عُمان. وورد من سرنديب (سـيلان) في سـنة ٣١٧هـ إلـى عُمان مركب تجاري بلغت عشـوره سـتمائة ألف دينار[٥٥].

كذلك كانت لموانئ الهند علاقة تجارية كبيرة مع عُمان، حيث كانت المراكب التجارية تتجه من مسقط بعُمان نحو كولم بالهند ومنها إلى كله بار[٥٦]. والعكس من كولم إلى مسقط، ومن كولم إلى قاليقوط بالهند، ثم إلى ظفار بعُمان[٥٧].

اليمـن: تقـع في الركن الجنوبي العربي للجزيـرة العربية على مدخل البحر الأحمر، تتصل عبر البحر بعدة بلدان، تجلب منها أنواع السلع التجارية.

وعلـى الرغـم من أن حـكام اليمن كانـوا يحصـلون على أمـوال كثيرة من النشـاط الزراعي لمسـاعدتهم على اسـتمرار حكمهم وبقاء دولتهم، إلا أنه عند زيادة النشاط التجاري لليمن كانت توصف بأن «غالب أمواله من موجبات التجار الواصلين من الهند ومصر والحبشة، مع مالها ومن دخل البلاد»[٥٨].

وعن أهم السلع التجارية في اليمن، فهي العصائب، وهي برود يمنية يعصب غزلها، والأدم (الجلود)[٥٩]. والعنبر في الشـحر. بالإضـافة إلى الجزع والشـب والكهرباء البحرية واللبان، الذي كان يوجد بكثرة في بلاد الشـحر وحضـرموت، ومنها تصـدر إلى الهند والصـين وخراسـان وجميـع الأقطار. يوجـد بها اللَّك، ويحمل إلى مصـر وإلـى جميع البلدان. ويوجد بها كذلك الخيارشـنبر، والكندر والصـبر السـقطري، والقلقلان، والقسـطل الحلو، والورس. ومنها تصـدَّر إلى جميع البلدان.

يضاف إلى ذلك عدة سلع صناعية للمنسوجات؛ منها: الحبرات التي تحمل

إلـى الكثير من البلدان، وكذا الأردية والعمائم العدنية والثياب السَّـحولية، وكذا السيوف التي تشتهر بها اليمن، والتي يقال «إنها أشرف البلدان سيوفًا». بالإضافة إلى ذلك «العقيق والرقيق والنجب أو الإبل المهرية والخيل العِراب والنضار، وغير ذلك من أصـناف الأمتعة والتجارات»[٦٠]. هذه السـلع كان لها دور كبير في زيادة النشـاط التجاري لليمن، ومن أهم المراكز التجارية ميناء عدن نختصر نشاطها التجارية بالآتي:

عدن: مدينة مشـهورة على ساحل بحر اليمن، «يحيط بها الجبال من جميع الجوانـب»، عـدا الجانب البحري الذي يسـتقبل المراكب التجاريـة، كما أن هذه الجبـال يحيـط بها البحر من جميع جهاتها. وبذلك فهي ميناء تجاري محصَّـن من جميع جهاته.

وعن نشـاطها التجاري توصف عدن بأنها بلد التجارة: «يجتمع إليها الناس، ويحمل إليها متاع الهند والسـند والصـين والحبشـة وفارس والعـراق»[٦١]. كما توصف بأنها «من أعظم المراسي باليمن»، وأكبر خزانة مالية لحكَّامها.

كما توصـف بأنها: «محط رحال التجار، لم تزل بلد تجارة من زمن التبابعة وإلـى زماننا، عليها ترِد المراكب الواصـلة من الحجار والسـند والهند والصـين والحبشـة، ويمتار أهـل كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمهم من البضـائع»[٦٢]، ولذلك قالوا عن نشاطها التجاري: «ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار واردين عليها وبضائع شتى ومتاجر منوعة، والمقيم بها في مكاسب وافرة وتجارة مربحة، ولحطِّ المراكب عليها وإقلاعها مواسم مشهورة»[٦٣].

وعـن المراكـز أو الموانئ التجارية التي كان لعدن نشـاط تجـاري معها، ففي شـرق إفريقيا: زيلع ومقديشـو وكلوة وجزر القمر[٦٤]. وصـل مركب تجاري سنة ٦٢٦هـ من جـزر القمر إلى عـدن[٦٥]، في رحله مباشـرة دون توقف. وفي جنوب شـرق آسيا كانت المركب التجارية تتجه محملة بأنواع السلع التجارية من كله بار

إلى عدن، والعكس من عدن إلى كله. كما كانت المراكب التجارية تأتي من كله إلى الشحر[٦٦]، ومنها إلى عدن أو عُمان.

ومن ذلك تظهر أهمية عدن أنها حلقة وصل تجاري بين عدة بلدان، وذلك أن المراكب التجارية القادمة من الهند والصين وشرق إفريقيا إلى مصر والحجاز والحبشة تمر عبرها والعكس، وعلى ذلك فإن عدن كانت أهم المدن التجارية في بلاد العرب[٦٧].

العامل السياسي: كان للعامل السياسي دور كبير في التأثير على النشاط التجاري زيادةً ونقصًا. ونورد منها مثلين من الصين والخليج العربي بالآتي:

كانت مدن الصين التجاريه تتميز بسيادة العدل والنظام، كونها كانت تخضع لحاكم واحد، ساعد ذلك على النشاط التجاري بين الصين والبلدان العربية والإسلامية. وفي تلك الآونة كانت مراكب الصين التجارية تصل إلى بلاد عُمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأُبُلَّة والبصرة. كما كانت المراكب التجارية تصل من هذه البلدان إلى الصين مباشرة دون توقف في محطات.

ومنذ منتصف القرن الثالث الهجري، وبالتحديد سنة ٢٦٤هـ، جرت أحداث سياسية أثَّرت على النشاط التجاري بين الصين والبلدان العربية والإسلامية، من أهمها انعدام العدل والنظام، ووجود الظلم على التجار. أدى ذلك إلى توقف ذهاب التجار العرب والمسلمين إلى الصين مباشرة. كما توقف قدوم تجار الصين إلى البلاد العربية مباشرة. واتفق الطرفان على جعل مرسى كله بار في جزيرة الملايو محطة رئيسية لالتقاء تجار البلدين.

والسبب في ذلك يرجع إلى حدوث صراع سياسي بين ملك الصين وأحد الطامحين للسلطة، والمسمى يانشو، الذي تجمَّع حوله الكثير من الأنصار ممن يميل إلى رأيه. فاتجه بهم إلى محاربة ملك الصين، فشن الغارات على مدن

الصـين المتعددة، من أهمهـا مدينة خانفو أو كانتون، التي تقع على نهر الصـين العظيم، وكان يقصدها التجار العرب والمسلمون، وكوَّنوا فيها أكبر مجمع تجاري لهم. وكانت تصـل إليها أنواع السـفن التجارية من أنحاء البلدان؛ مثل البصـرة وسـيراف وعُمـان ومـدن الهند وجزائـر الزابج أو إندونيسـيا والصـنف فيتنام وغيرهـا. ونتج عن مهاجمة يانشـو لمدينة خانفو الاسـتيلاء عليهـا، وقتل الكثير مـن التجـار الموجودين بها مـن العرب والمسـلمين واليهود والنصـارى والمجوس والصينيين، قدر عددهم بحوالي مائة وعشرين ألف رجل.

كما شـنَّ يانشـو الغارات على العديد من مدن الصـين الأخـرى، من أهمها مدينـة خمدان، التي كان يوجد بها ملك الصـين، الذي لم يتمكن من الدفاع عن مدينته، فهرب إلى قرب التبت. ولما أدرك ملك الصين عدم مقدرته على القضاء على يانشـو الطامح في السـلطة، وعدم تمكنه من استعادة سلطانه على الصين، استعان بابن خانقان ملك الترك. فساعده على استعادة سلطانه على الصين.

ونتج عن هذا الصـراع السياسـي تفكك الصـين إلى عدة إمـارات أو نواحٍ، اسـتقل كل صـاحب ناحية بناحيته، وحاول كل منهم مد نفوذه إلى ما يجاوره من المدن والبلدان. وكان ملك الصـين آنذاك قد ضـعف ماليًّا وعسـكريًّا بسبب قتل أكابـر رجاله وهـلاك أمواله بالتدمير والسـلب. فلم يتمكن من اسـتعادة نفوذه الفعلي على أنحاء مدن وإمارات الصـين، فاكتفى بقبول إعلانهم الطاعة له دون دفع الأموال.

أما من جهة هؤلاء الأمراء، فقد عمل كل واحد على فرض الضرائب والرسوم الكثيرة على التجار المجتازين إماراتهم، فتكرر دفع الأموال. كما أدى إلى السطو علـى أمـوال التجار وظهـور الظلم عليهـم، ونتج عـن ذلك توقف سـير المراكب التجارية إلى الصـين لما يزيد عن نصـف قرن ما بين سـنة ٢٦٤هـ حتى بعد سنة ٣٣٢ هـ، وخلال هذه المدة جعلوا مرسـى كله بار الواقع في منتصـف الطريق بين

الصـين والبلاد العربية محطة رئيسية لالتقاء الطرفين[٦٨]. وهكذا كان لأحداث الصين السياسية أثر كبير على النشاط التجاري.

ومـن ضـمن العوامل السياسـية المؤثرة على النشـاط التجـاري على جنوب الجزيرة العربية، ومنها مراسي سواحل عُمان، الآتي:

كانـت المراكـب التجارية تسـافر مـن ميناء صُـحار بعُمان إلـى أنحاء بلاد الصـين، إلا أن ذلك حدث له الانقطاع منذ سـنة ٥٠٤هـ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن صـاحب جزيـرة كيش، أو قيـس، الواقعة في بحر الخليـج العربي أو بحر فارس، عمل منذ سنة ٥٠٤هـ على تحصين ميناء كيش (قيس) لاستقبال التجارة بهـدف الحصـول على الأمـوال، فكان يفرض على كل مركب تجـاري يمر عليه دينارًا، ثم أضاف إليه درهمًا، إلى أن صار دينارًا وعشرة دراهم[٦٩].

ثم عمل على إنشـاء أسـطول حربي، فهاجم به مراسـي عُمان واليمن، كما هاجم السـفن القادمة من بلاد الزابج (إندونيسـيا) والهنـد، فخافوا منه. أدى ذلـك إلـى «انقطاع السـفر من عُمـان وتحولها إلى عـدن»[٧٠]، وعلـى ذلك كان للصراع السياسي في الخليج أثره على النشاط التجاري لمراسي عُمان.

النشـاط البشري: شكل النشـاط البشـري أهم العوامل الفاعلة التي ارتكز عليها قيام النشاط التجاري البحري وازدهاره فيما بين الجزيرة العربية والعديد من البلدان. ويمثل ذلك معرفة أنواع السلع التجارية التي تنتجها كل بلد، ومعرفة البلـدان التـي تحتاجها للقيام بالعمـل التجاري، وهي لب العمـل التجاري. وكذا معرفـة حركة الرياح ومواسـمها واتجاهاتها، وكيفية الاسـتفادة منها في تسـير المراكـب التجاريـة، وهي من أهم عمليـة النقل التجاري. وكذلـك معرفة الموانئ الصـالحة لرسـو السـفن التجارية التي ينتج عنها وجود أهم المراكـز التجارية للنشاط التجاري البحري في العديد من البلدان، وقد جرى فيما سبق استعراض هذه العوامل، يضـاف إلى ذلك معرفة صناعة السفن، وكيفية معرفة التعامل مع

حركة الرياح للاستفادة منها في النقل التجاري، ونختصر ذلك بالآتي:

١- معرفة صناعة السفن: مثَّلت صناعة السفن التجارية أهم أدوار النشاط البشـري. كما أنها من أهم ركائز قيام هذا النشاط. وفي هذا الجانب، فإنه على الرغم من قلة وجود الأشجار التي تصنع منها السفن في الجزيرة العربية، إلا أن أهل اليمن وعُمان كان لهم دور كبير في جلب الأخشاب الصالحة لصناعة السفن التجارية، وكانت أهم البلدان التي كثرت فيها الأشـجار الصالحة لصنع السفن: البلـدان والجزر الواقعة فيما بين الصـين والهنـد، ومن أهمها جزر إندونيسـيا وماليزيا. من ذلك الآتي:

يوضِّـح الإدريسـي كيفية جلب الأشجار وصناعة السـفن منها بقوله: «وأهل عُمان ومربط من بلاد اليمن ربما قصدوا إلى هذه الجزائر التي فيها النارجيل، فيقطعون من خشـب النارجيل ما أحبوه، ويصـنعون من ليفه حبالاً، يخرزون به ذلك الخشب، وينشؤون منه مراكب، ويصنعون منه صواريها، ويفتلون من خوصه حبـالاً، ثم يوسـقون تلك المراكب بخشـب النارجيل، ويمضـون بـه إلى بلادهم، فيبيعونه هناك ويتصرفون به»[٧١].

كما وضـح ذلك السـيرافي بقوله: «وبعُمان من يقصد إلى هذه الجزائر التي فيهـا النارجيل، ومعهم آلات النجارة وغيرها، فيقطعون من خشـب النارجيل ما أرادوا، فـإذا جف قطع ألواحًـا. ويفتلون من ليف النارجيل مـا يخرزون به ذلك الخشب، ويستعملون منه مركبًا، وينحتون منه أدقالاً، وينتجون من خوصه شراعًا ومـن ليفه خرابات (حبال) وهي القلوس عندنا، فإذا فرغوا من جميعه شـحنت المراكب بالنارجيل، فقصد بها عُمان فبيع»[٧٢].

وكذلـك يذكر ابن بطوطه ذلـك بقوله: «القنبر وهو ليف جـوز النارجيل... وتصـنع منـه الحبال لخياطة المراكب، ويحمل إلى الصـين والهنـد واليمن، وهو خير من القنب، وبهذه الحبال تخاط مراكب الهند واليمن؛ لأن ذلك البحر كثير

الحجارة، فإن كان المركب مسمَّرًا بمسامير الحديد صدم الحجارة فانكسر»[٧٣].

يضاف إلى ذلك أنه كان يوجد في اليمن وعُمان شجر القرظ وشجر السدر، واستخدمت لصناعة السفن.

٢- التعامل البشري في معرفة حركة هبوب الرياح واتجاهها: نظرًا إلى أن اتجاه هبوب الرياح كان يشكل دورًا فاعلاً في تسيير المراكب التجارية عبر البحار بين عدة بلدان، فكان لا بد من معرفة اتجاه هبوب الرياح ومواسم هبوبها وأوقات شدتها وضعفها، للاستفادة في سيرهم عبر البحار وفقًا لهذا الاتجاه. ولذلك ظهر العديد من المعلمين والمرشدين للطرق البحرية، وضعوا في ذلك عدة تعليمات، ومن أهم هذه التعليمات:

من الضروري والواجب على الملاحين معرفة مواسم الرياح الصالحة والملائمة للسفر وغير الصالحة. ذلك ما يوضحه ابن ماجد بقوله: «والمعلم الماهر لا تخفى عليه جميع الأرياح، ومواسم (أسفار) جميع الدنيا، لأنها مرتبه على الأرياح...فأعرف مواقع جميع المواسم والأرياح»[٧٤].

كما يجب على الملاحين معرفة شدة حركة الرياح أو ضعفها لتجنب السفر في حالة شدة الرياح أو هيجان البحر. وذلك ما يوضحه المسعودي بقوله: «ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفونها في أوقات تكون فيها مهابُّها، قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب، يتوارثون علم ذلك قولاً وعملاً، ولهم فيها دلائل وعلامات يعملون بها إبَّان هيجانه وأحوال ركوده وثوراته»[٧٥].

ومن حيث الأعداد، فمن الضروري على الملاح «أن يعد كل ما يلزم المركب من النوتية والعدة والأدوات كالحقة، والبلد (مسار الأعماق) والفانوس، والرهمانج، وأن يفحص قبل سفره الحقة وحجر المغناطيس...».

وعن السفر آخر الموسم، فقد حذر منه ابن ماجد وخاصة عندما تكون

المدة المتبقية من موسم السفر غير كافيه للرحلة. والسبب في ذلك يتمثل في عدم وصول المركب «إلى المكان الذي يقصده لتأخره زامًا واحدًا عن عبور أحد الرؤوس الهامة كرأس الحد وفرتك وباب المندب»[٧٦]. وهكذا كان من الضروري معرفة اتجاه هبوب الرياح المساعدة لسير السفن التجارية عبر مختلف الطرق البحرية. وهو مجهود بشري لمعرفة العوامل الطبيعية للاستفادة منها في نشاطهم التجاري.

٣- القرصنة البحرية: انتشر السطو على سفن البحار، وهي القرصنة البحرية، منذ فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي. وخاصه على الطريق التجاري البحري القادم من بلدان الهند والصين نحو بلدان الخليج العربي والبحر الأحمر. ويحكى أن أحد أسباب غزو السند هو وجود قراصنة الديبل على هذا الطريق، نذكرها في الآتي:

استعمل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي على ما فتح من السند محمد ابن هارون بن أذرع النميري. وفي ولايته أهدى ملك جزيرة الياقوت إلى الحجاج نسوة مسلمات ولدن في جزيرته، مات أبوهن وكان تاجرًا. وعند مرور السفينة قرب الديبل هجم عليها «قوم من ميد الديبل في بوارج، فأخذوا السفينة بما فيها»، فاستجارت امرأة منهن بالحجاج، وكانت من بني يربوع، فلبى الحجاج استجارتها بإرسال جيش نحو ملك السند المسمى (داهر)، يطلب منه تخلية النسوة، فرد عليه: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهم». ولذلك أمر الحجاج بغزو بلاد ملك السند والديبل، فأرسل إليه عبيدالله بن نبهان فقتل، ثم كتب إلى بُديل بن طهفة البجلي، الذي كان بعُمان، يأمره المسير إلى الديبل، وبعد قتله أرسل محمد بن القاسم الثقفي لفتح السند، وهو أشهر فاتحي السند[٧٧].

ويوضح المسعودي جنس هؤلاء اللصوص وبلدانهم والأماكن التي انتشرت فيها قرصنتهم بقوله: «ومنها نهر مهران السند... فيه جنس من السند يقال

لهـم الميـد، وهم خلق عظيم حزب لأهل المنصـورة، ولهم بـوارج في البحر تقطع علـى مراكب المسـلمين المجتازة إلى أرض الهند والصـين وجدة والقُلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم»[٧٨].

وعلى ذلك فإن أكثر من اشتهروا آنذاك بأنهم (يقطعون في البحر) هم أهل الميد.

كما وجدت القرصـنة على مدخل شـط العرب في الخليـج العربي في إحدى جزره المسماة البحرين، وصـف أهلها أنهم «لصوص يقطعون على المراكب»[٧٩]، كما وصـفت الجزيـرة بأنها لا زرع بها ولا نخيل ولا إبل؛ أي إنها ليسـت صـالحة للحياة. ولذلك فهي ليسـت البحرين الحاليـة؛ لأن جزيرة البحرين الحالية كان يطلق عليها جزيرة أوال.

وكذا وجدت القرصـنة في أحد الحصـون الصـغيرة في عبـدان أو عبادان، وصف بأنه «رباط كان فيه محارس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر، وبها على دوام الأيام مرابطون»[٨٠]. ومن المسـتنتج عن وصفهم بالقطرية أنهم ليسوا مـن قطر الحالية؛ لأن مرابطتهم كانت في عبدان على الشـاطئ الشـرقي لبحر الخليج العربي، في حين أن قطر على الشاطئ الغربي له. ولأن قطر الحالية كانت مختصـة ومشهورة بصـناعة البرود القطرية ليست بحاجة إلى القرصنة. وربما كان المقصـود بالقطرية نسبة إلى لبسـهم البرود القطرية، أو أنهم من لصوص الميد، كانوا يتخذون من أطراف قطر محطة لانطلاقهم إلى عبدان، ولذلك أطلق عليهم قطرية.

وكذلك اتخذ قراصـنة الهند من جزيرة سـقطرة محطـة لانطلاقهم؛ ذكر ذلـك ياقوت الحموي بقولـه: «وكان يأوي إليها بوارج الهنـد الذين يقطعون على المسافرين من التجار»[٨١].

وفي عهد الحكم الأيوبي لليمن عملوا على إرسال الشواني لحماية التجارة من القراصنة، نصف ذلك بالآتي:

عندما فتح توران شاه الأيوبي اليمن سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، جلب معه الشواني، وهي السفن الحربية، كل واحدة منها تسمى شونة، «مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وبها مخازن للمؤن والمياه العذب»[٨٢]. كما أنها مزودة بالمقاتلين بالأسلحة والقاذفين بالنفط. وظلت هذه الشواني راسية في ميناء عدن دون عمل. وعندما تولى حكم اليمن سيف الإسلام طغتكين الأيوبي نصحه أحد التجار باستخدام السفن الحربية أو الشواني لحماية التجارة والبحار من لصوص البحر أو القراصنة بقوله له: «انفذ بهذه الشواني إلى البحر يحموا البحار من السُّرَّاق». فعمل برأيه، «فأخرج الشواني إلى الهند، فكانت الشواني تقف على رأس المنادخ يحفظون التجارة من سطوة السُّرَّاق، فبقوا على حالهم إلى سنة ٦١٣هـ». وكان خروج الشواني لحماية التجار دون دفع ضريبه تجارية.

وعندما تولى الملك المسعود الأيوبي اليمن نصحه بعض الأكابر بأخذ مبالغ من المال مقابل الحماية، وهي التي سميت بضريبة الشواني، بقولهم له: «إنه يخرج من خزانه المولى كل عام لأجل الشواني خمسون ستون ألف دينار بطّال، فإن أخذ المولى هذا القدر من التجار لم يضرهم ذلك». وعلى ذلك فرضت ضريبة عشور الشواني، وهي على كل ألف دينار مئة دينار، وظل ذلك سنة ٦٢٥هـ، وهي مدة حكم المسعود لليمن. وبعد حكم المسعود توقف خروج الشواني لحماية التجارة، بينما ظلت ضريبة عشور الشواني مستمرة[٨٣].

كما انتشرت القرصنة البحرية في زمن رحلات ابن بطوطه؛ ومنها أن سلطان فاكنور بالهند كان أحد المفسدين الذين يقطعون البحر ويسلبون التجار، وكان له نحو ثلاثين مركبًا حربية. ونتيجة لذلك فقد كان «من عادات المراكب إذا مرت في مرسى فاكنور تعطي صاحبه هدية تسمى حق البندر، ومن لم يفعل

ذلك يعاقب بأخذ مركبه بالقوة، مع منعه من السفر وتضعيف الغرامة عليه»[٨٤].

ونتيجة لتلك القرصنة البحرية كان لابد للمراكب التجارية أن تحمل «في كل مركب من مقاتلين ونفَّاطين»[٨٥]. ومنها مثلاً كانت المراكب الصينية الكبيرة تحمل في كل مركب أربعمئة من المقاتلين، منهم الرماة بالرماح والرماة بالنفط[٨٦].

وتلك كانت أهم أعمال القرصنة البحرية في العصر الإسلامي للتجارة القادمة من الهند والصين نحو بلدان الجزيرة العربية، وخاصة مدخلي الخليج العربي والبحر الأحمر.

القوافل البحرية: كان السير وفق نظام القوافل أحد عادات العصر الإسلامي. وهو سير عدة مراكب تجارية مع بعضها البعض، وكان لذلك السير عدة أهداف؛ منها: إرشاد السفن التجارية التي لم يعرف أصحابها طريق السير عبر البحار إلى بعض المراسي التجارية. ومنها محاولة إنقاذ الأفراد من الغرق إذا تعرضت سفينتهم للغرق. ومنها أيضًا السير في موسم واحد، وهو أن السفر بين المراسي التجارية كان له مواسم محددة. ومنها كذلك كان الترافق في السير عبر الطرقات البحرية يهدف إلى حماية التجارة من لصوص البحر، وهو أهم الأهداف. وكأمثلة لذلك الترافق أو سير القوافل البحرية نذكر الآتي:

في سنة ١٣٦هـ خرج مركب تجاري من سيراف نحو صيمور، وخرج معه مركبان تجاريان، أحدهما لعبد الله بن الجنيد والثاني لسبأ. وكانت هذه الثلاثة المراكب من الموصوفة بالكبر، التي كان الواحد منها يحمل ألفًا ومئتي رجل من التجار والملاحين، بالإضافة إلى أنواع السلع التجارية والأموال والأمتعة.

ومنها في سنة ٣٣٢هـ خرجت من بلاد الزنج، وهي جنوب شرق إفريقيا، خمس عشرة مركبًا إلى عُمان، فسلمت جميعها إلا واحدًا.

ومنها أيضًا أنه خرج أحد التجار سنة ٣٢٥هـ بمركب تجاري من عُمان مع

عدة مراكب إلى جدة، وسارت معهم عدة مراكب من عدن وغلافقة وعثر[٨٧].

وهكذا كان السير عبر الطرق البحرية وفقًا لنظام الترافق أو لقوافل.

الخاتمة:

مما سبق نستنتج أن العصر الإسلامي الوسيط، كان من أهم عصور قيام وازدهار النشاط التجاري البحري للعرب والمسلمين؛ كونه كان يمثل أهم المعالم الرئيسية التي كان لهم الدور الكبير في ذلك لنشاط التجاري البحري مع العديد من البلدان.

وما نستنتجه أيضًا أن النشاط التجاري البحري ارتكز على نوع السلع التجارية، وأهميتها، وكثرة وجودها والطلب عليها، والنشاط البشري فيها، وهذا بدوره أدى إلى وجود العديد من المراكز أو الموانئ التجارية في العديد من البلدان المنتجة لهذه السلع والبلدان المستجلبة لها. فبرز من ذلك ازدهار النشاط التجاري البحري للعرب والمسلمين إبَّان تلك الفترة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن زيادة النشاط التجاري البحري كان يرجع إلى مستوى التحضر الذي ساد البلدان العربية والإسلامية آنذاك، فضلاً عن اتساع رقعة العالمين العربي والإسلامي، وهذا بدوره نتج عنه زيادة حجم النشاط التجاري البحري وزيادة الطلب والاستهلاك لتلك السلع التجارية.

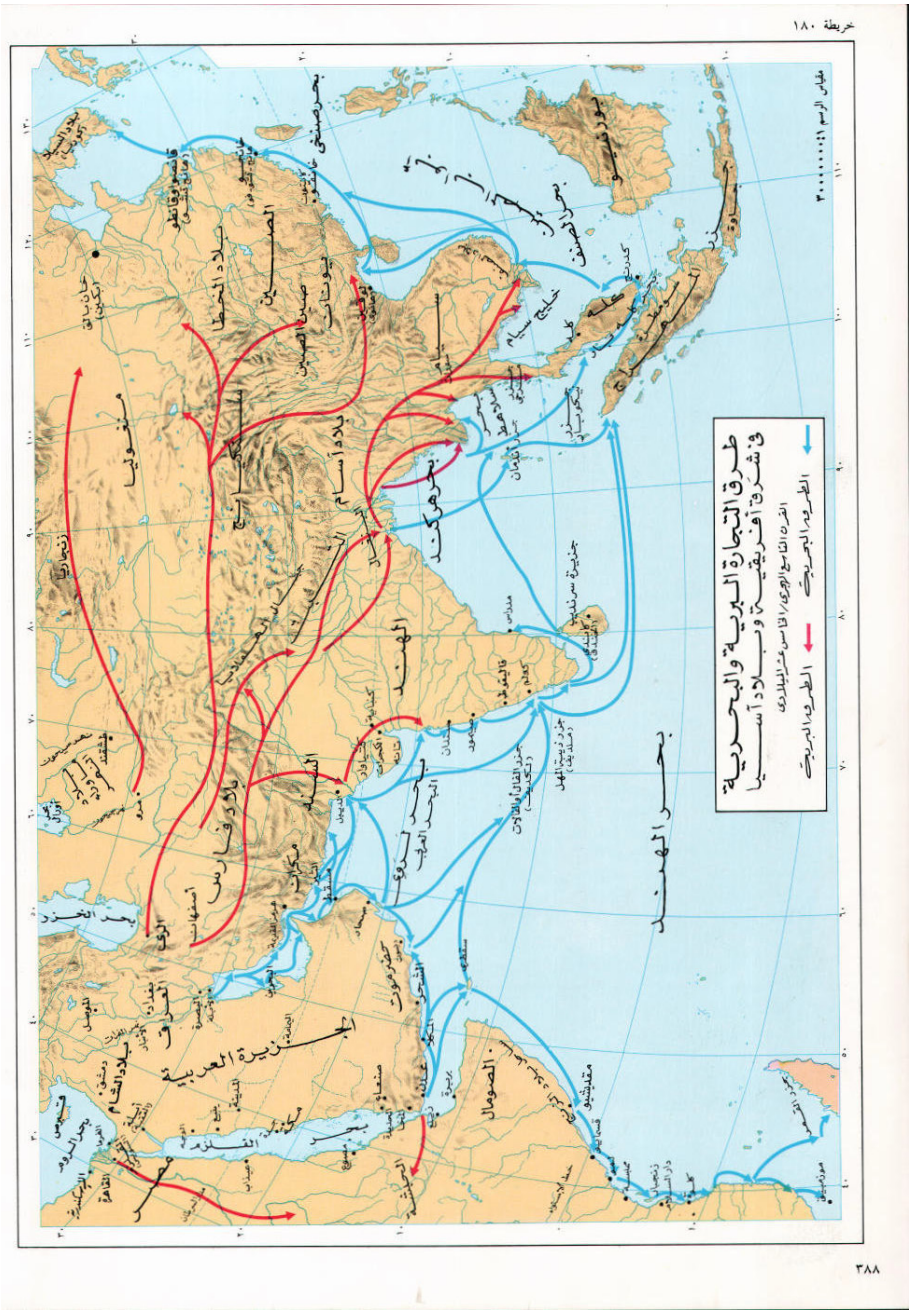

المصدر: أطلس التاريخ الإسلامي، أ.د. حسين مؤنس

الهوامش:

(١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٨٣، محمد بن محمد إدريس.ت (٥٦٠ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٩م..

(٢) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ص٢٢٨، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ م١٩٩٨م.

(٣) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٨٨-٩١.

(٤) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٧.

(٥) ابن بطوطة، **رحلة**، ٦٢١، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت (٧٧٩ هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت القزويني، **آثارالبلاد**، ص٢٩، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

(٦) ماركو بولو، **رحلات ماركوبولو**، ٢١/٣، ترجمة عبد العزيز جاويد:(الهيئة المصرية العامة للكتابة، ط٢، ١٩٩٥م.

(٧) القزويني، آثارالبلاد، ٢٩-٣٠، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٧، الألوسي، **تجارة العراق**، ص٩٠، عادل محي الدين ، تجارة العراق البحرية مع أند ونسيا حتى أواخر ق٧ هـ، ق١٣ الميلادي، بغداد، دار الحرية، منشورات وزارة الثقافة و الأعلام العراقية، سلسلة الدراسات. د.ت.

(٨) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ص٧٥، السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠.

(٩) السيرافي وسليمان التاجر، أخبار الصين والهند، ص٧٥، تحقيق يوسف الشاروني، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م، المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١، أبو الحسن على بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـ، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٣هـ، ١٣٧٣م، العاني، **تاريخ عُمان**، ص١٥٢، عبد الرحمن عبد الكريم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(١٠) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٧٥، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٨٠/٥، أبو العباس احمد ت(٨٢١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٥٢.

(١١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٨٠.

(١٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١.

(١٣) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠٥.

(١٤) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٤٠/١، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٥٢.

(١٥) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٣،٧٤.

(١٦) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٨٧.

(١٧) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٣.

(١٨) شيخ الربوة، **نخبة الدهر**، ٢١٥.

(١٩) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠، الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ٧٥، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٤.

(٢٠) القزويني، **آثار البلاد**، ١٢٧-١٢٨، الجاحظ، **التبصرة بالتجارة**، هامش ٣٤، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٦٢/٥.

(٢١) نعيم زكي فهمي، **طرق التجارة**، ص١٦٦، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م..

(٢٢) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦١.

(٢٣) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٨، مؤنس، **رحلة ابن بطوطة**، ١٧٧، شوقي، **تجارة المحيط**، ١٨٩.

(٢٤) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٧٥/٥.

(٢٥) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٨.

(٢٦) القلقشندي، **صبح الأعشى**، ٧٥/٥.

(٢٧) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠٧، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٣.

(٢٨) نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٣.

(٢٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٤، مؤنس، **رحلة ابن بطوطة**، ١٧٤، شوقي، **تجارة المحيط**، ١٨٩-١٩٠، نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٨.

(٣٠) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٨.

(٣١) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٠.

(٣٢) شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط**، ص١٨٨، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ٤١- ٩٠٤ هـ- ٦٦١ – ١٤٩٨م، نعيم، **طرق التجارة**، ١٧٢.

(٣٣) **نعيم، طرق التجارة، ١٧١.**

(٣٤) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص٤٣، أبو عبد الله محمد بن احمد أبي بكر ت(٣٨٠ هـ)، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، مجموعة، **تاريخ عُمان**، ص١٨٢، عُمَان في التاريخ، نشر وزارة الاعلام، سلطنة عُمَان، لندن، دار أمييل للنشر، ١٩٩٥م، العاني، **تاريخ عُمان**، ١٤٥، حبيب، **حصاد**، ٥٢.

(٣٥) القزويني، **آثار البلاد**، ٥٦، حبيب، **حصاد**، ٥٢.

(٣٦) **بدر الدين الصيني، العلاقات بين العرب والصين**، ص١٠٩، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١٣٧٠،١هـ-١٩٥٠م.

(٣٧) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٥٩.

(٣٨) القزويني، **آثار البلاد**، ٦١.

(٣٩) البكري، **المسالك والممالك**، ص٣٦٩، أبو عبيدة (ت٤٩٦ هـ)، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة

قرطاج- تونس، ط ١ ، ١٩٩٢م.

(٤٠) القزويني، **آثار البلاد**،٧٧.

(٤١) ابـن حوقـل، **صـورة الأرض**، ص٤٤-٤٥، أبو القاسـم بن حوقـل، منشـورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط، ١٩٧٩م.

(٤٢) الإدريسـي، **نزهـة المشـتاق**، ١٥٦، الحمـيري، **الروض المعطـار**، ٣٥٤، رمزية، **تجـارة الخليج**، ٩، حبيب، **حصاد**، ٧٠.

(٤٣) المقدسـي، **أحسـن التقاسـيم**، ٨٧، ياقوت الحموي، **معجم البلـدان**، ٣٩٤/٣، القحطاني، **تجارة الجزيرة**،٢٣٥، يوسف الغنيم، **جزيرة العرب**، ١٣٧.

(٤٤) الحمـيري، **الروض المعطار**،صـ٣٥٥، محمـد بن عبد المنعـم ت(٧١٤ هـ)، تحقيق د/ إحسـان عباس، مؤسسة ناصر. القاهرة، ط٢، ١٩٨٠م.

(٤٥) البكري، **المسالك والممالك**، ٣٦٧.

(٤٦) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٦.

(٤٧) ابـن الفقيـه، **كتاب البلدان**، ص١٢، أبو بكر احمد بن محمد (٢٩٠ هـ)، مختصـر كتاب البلدان، بيروت،: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

(٤٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٣٩٣/٤، ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م.

(٤٩) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٧١.

(٥٠) السابق، ٢٥٩.

(٥١) القزويني، **آثارالبلاد**، ٦١.

(٥٢) المسعودي، **مروج الذهب**، ٦/٢-٧.

(٥٣) بزرك، **عجائب الهند**، ص١٧٥، بزرك بن شهريار الناخذاه، جزائره، دار صادر ، بيروت، د.ت.

(٥٤) نعيم، **طرق التجارة**، ١٦٦.

(٥٥) بزرك، **عجائب الهند**، ١٣٣،٩٠،٧٠،١٠٧.

(٥٦) ابن الفقيه، **كتاب البلدان**، ١٢.

(٥٧) ابن بطوطة، **رحلة**، ٦٣٨.

(٥٨) العمـري، **مسـالك الأبصـار**، شـهاب الدين أحمـد ت (٧٤٩هـ)، تحقيق أيمن فؤد سـيد، المعهد الفرنسـي ، القاهرة، د .ت، القلقشـندي، **صـبح الأعشـى**، ٧/٥، الناصـري، **النشـاط التجاري**، ص٨٣، علي حسين السليمان النشاط التجاري في شبة الجزيرة العربية، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، القاهرة، د.ت.

(٥٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ٩١.

(٦٠) البكري، **المسالك والممالك**، ٣٦١- ٣٦٢، ٣٦٨.

(٦١) القزويني، **آثار البلاد**، ١٠١.

(٦٢) العمري، **مسالك الأبصار**،ص١٥٧، القلقشندي، **صبح الأعشى**،١١/٥، مجموعة، **فرضة اليمن**،٢٧٩

(٦٣) العمري، **مسالك الأبصار**،١٥٧، القلقشندي، **صبح الأعشى**،١١/٥.

(٦٤) ابن بطوطة، **رحلة**، ٢٥٢،٢٦٦.

(٦٥) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ص١١٧، محمد بن مسعود بن على ت(٦٣٠ هـ)، تحقيق: أوسكر لوفغرين، دار التنوير، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.

(٦٦) بزرك، **عجائب الهند**، ٩٧،١٣٠.

(٦٧) بدر الدين الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**،١٠٩.

(٦٨) المسعودي، **مروج الذهب**، ١٣٧-١٤٠، السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين**، ٦٣.

(٦٩) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ١٨٨.

(٧٠) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ١٥٦-١٥٧.

(٧١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**،٧٥/١.

(٧٢) السيرافي وسليمان التاجر، **أخبار الصين والهند**، ٩٠.

(٧٣) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٧٦.

(٧٤) شهاب، **فن الملاحة**، ١٧٨.

(٧٥) المسعودي، **مروج الذهب**، ١١٢/١، مجموعة، **عُمان في التاريخ**، ١٨٩.

(٧٦) شهاب، **فن الملاحة**، ١٨٩، ١٩٢.

(٧٧) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص٤٢٣، ابو الحسن، فتوح البلدان، تحقيق المنجد، النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

(٧٨) المسعودي، **التنبيه**، ٢٩، حوراني، **الملاحة**، ٢٠٩.

(٧٩) ابن خرداذبة، **المسالك**، ص٦٠، أبو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت(٣٠٠ هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٨٨م.

(٨٠) الإصطخري، **مسالك الممالك**، ص٣٣، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد ت(٣٤٠ هـ)، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل ١٩٣٧م.

(٨١) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ٢٢٧/٣٧٣،٣/٤.

(٨٢) توفيق سلطان، **دراسات في النظم**، ١٦٧، السروري، محمد عبده، **الحياة السياسية**، ص٤٨٦ إصدارات وزارة الثقافة و السياحة، اليمن، بيروت، سنة ٢٠٠٤م.

(٨٣) ابن المجاور، **صفة بلاد اليمن**، ١٤١-١٤٢.

(٨٤) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٠.

(٨٥) المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ٢٦.

(٨٦) ابن بطوطة، **رحلة**، ٥٦٥.

(٨٧) بزرك، **عجائب الهند**، ٦٠، ٩٣، ١٦٥.

أثر وَحدة السياق الفني في تكوّن الشعر القديم

(٢)

د.عبدالله بن سليم الرشيد (*)

مظاهر في الصور الشعرية:

الصورة الشعرية التي عليها مدار هذه الفقرة من البحث هي تلك التي ترحل في النصوص، وتزداد جلاءً في النصوص المتحدة السياق، كهذه العينيات؛ إذْ إن هذه الصور تؤول إلى مصدر واحد غالبًا، بل إن بعض الصور يتكرر فيصبح التالي ناقلاً لما أبدعه الأول فحسب، وقد تقوى مُنّة الشاعر، فيعمِّر الصورة تعميرًا يكسبها جِدّةً ورُواءً.

وبما أن القصائد المدروسة مسلوكة في غرض الرثاء؛ كان لا بدّ لروح التفجّع أن تظهر أشدّ ما يكون الظهور، وهذا يقتضي أن تصدر الصور عن تخييل يستمدّ عالمه من الحزن والبكاء، فالقصائد قد تصبح على هذا محدودة الخيال؛ لأن ذاكرة الشاعر تختزن صورًا مستقاة من قصائد سابقة، سواء أكانت في السياق الفني نفسه أم في غيره، وقد يطرأ عليها تطوّر، أو قد تولّد صورة من صورة، وهذا ما سأُفيض في تفصيله في الأسطر اللاحقة:

إن الصور الواردة في عينية متمم قد تكون هي النواة المركزية التي تشظّت عنها الصور اللاحقة عند أصحاب العينيات، وقد يكون متمّم مستقيًا صوره من

شـعر سـبقه، والقطْع بشـيء من هذا غير وارد؛ إذْ لا دليل عليه، فلم يصـلنا كلُّ شـعر العرب، ولاسيّما شـعرُ الجاهلية الأولى. وعلى ذلك يصـلح أن تُتخذ بعض صـور متمّم منطلقًا للتعديل والزيادة في بناء الصور، وتغيير علاقاتها التشبيهية والاستعارية، والميل بها إلى مزيد من الإيغال المجازي.

إن متمِّمًا يستقصي الصورة، ويفصّل جوانبها، يقول داعيًا للقبر بالسُّقيا:

سقى الله أرضًا حلّها قبرُ مالك ... ذهابَ الغوادي المُدجنات فأمرعا
وآثـرَ سيلَ الـواديـين بـديمـةً ... تُرشِّحُ وسميًّا من النبتِ خروَعا
فمُجتَمَعَ الأسدام من حول شارعٍ ... فروّى جبالَ القريتين فضَلفَعا
فوالله ما أُسقي البلادَ لحبِّها ... ولكنّما أُسقي الحبيبَ المودَّعا[1]

والدعاء للقبر بالسُّـقيا، واستقصـاءُ ذكر المواضـع المحيطة بقبر المرثي أو القريبة منه، أو المفضـية إليه، منهج سـلكه الشعراء، وهو من آثار التعلق بذكرى المرثـي، وبلـوغ حدّ تقديـس ما مرّ به مـن أمكنة، «وهـو معنى متواتـر في مراثي الجاهليـة»[2]، غير أننا نلحظ أن بعض أصـحاب العينيات اكتفوا بالدعاء العام، كالحسين بن مُطير:

ألَمّـا بـمعـنٍ ثـم قـولا لـقبره ... سقتك الغوادي مربعًا ثمّ مربعا

والصـورة الكلية التي تشـترك فيها جُلُّ القصائد هي (صورة المرثيّ الفارس الكـريم)، إلا في مرثيَّـة ابن زيدون؛ لأنه يرثي امرأةً (أمّ المعتضـد)، غير أن لكل شاعر طريقتَه في تشكيل الصورة، وله مصادره التي يشرَك فيها غيرَه أو يخالفه، فمتمِّم والفرزدق أعرابيان، وأبو تمام وابن زيدون حضريان، وأوّل هذين مشرقي، والآخر أندلسي؛ ولهذا نجد اختلافًا في مكوّنات الصورة عند كلٍّ منهم، وفي طرق البيان التي حاطتها أو انبنت عليها، وإن اتفقت في هيئتها العامة.

ولمتمم والحارثي خصيصـة التفصيل الذي اسـتدعته اللوعة الصادقة؛ ولم أجد في القصـائد الأخرى ما يكشـف صـدقًا ولوعـةً ونزف مشـاعر كما وجدته عندهما، ففي صور المرثيّ (الفارس) يقول متمّم:

وإنْ ضرّس الغزوُ الرجالَ رأيتَه أخا الحرب صَدقًا في الرجال سَمَيدَعا
وما كان وَقّافًا إذا الخيلُ أحجمَتْ ولا طائشًا عند اللقاء مُدَفّعا
ولا بكَهام بَزُّه عن عدوِّه إذا هو لاقى حاسرًا أو مقنَّعا[٣]

لقد استغرق وصفُ المرثيّ وصفًا مفصَّلاً دقيقًا نحو ستة عشر بيتًا من عينية متمّم، وصِيغَ الوصفُ في صور متلاحقة، مفْضٍ بعضُها إلى بعض، وأربى عليه الحارثي عددًا، إذْ جاء عنده الوصف في نحو خمسين بيتًا، ومن نهجه التصويري أن يلمَّ بالفكرة في بعض الأبيات، كقوله: (يصونُ ببذلِ المالِ نفسًا كريمة)، ثم يعود إليها مفصِّلاً:

ترى الناسَ أرسالاً إليه كأنما تضمّن أرزاقَ العُفاة لهم معا
فمن صادر قد آبَ بالرزق حامدًا ومن وارد شاح بفيه ليكرعا[٤]
أفاتَ بإبقاء على العرْضِ مالَه فأنجحَ إذْ أكدى البَخيلُ وأوضعا
ولا يستخصُّ القدرَ من دونِ جارِه ليشبعَ والجيرانُ يُمسون جُوَّعَا

ثم رجع إلى الإجمال:

جوادٌ إذا ما ألصقَ المحْلُ بالثرى وضاق لئامُ الناسِ عنه توسّعا

ثم أرسل هذه الصورة الطريفة:

كساه الحياءُ الجودَ حتى لَوَ انَّه يُجَرَّدُ من سِربالِه ما تمنّعا

إن منهج تفصيل الصورة والإطالة فيها مخصوص بهذين الشاعرين المفجوعين، فهو يكشف ما اعتمل في نفسيهما من شدة اللوعة.

وصدقُهما في البكاء استدعى طولَ النفَس، والالتذاذَ بنثِّ محاسن المرثيَّيْن، ولم ينطو التصوير عندهما على مبالغة تتجاوز الحدَّ المقبول، على خلاف ما ظهر عند الفرزدق مثلاً؛ إذ إنه سار مسيرتَهما في قوله:

نعى فَتَيَيْنا للطعان وللقرى وعَدلَين كانا للحكومة مقنعا
خيارَيْنِ كانا يمنعانِ ذِمارَنا ومعقل مَن يبكي إذا الروعُ أفزعا

ولكنه مزج بهذا صورًا يهربُ بها من فراغ قلبه من الحزن، فحزنُه مدّعى؛

يكشفه ما عمد إليه من مبالغة في قوله:

فليتَ البريدَيْن اللذَيْن تتابعا بما أخبرا ذاقا الذُّعافَ المُسَلَّعا[٥]

وقوله: (فلا رُزءَ إلا الدينَ أعظمُ منهما)، وقوله: (وقائلة ليت القيامةَ أُرسلتْ علينا). فهذه التعبيرات والصور لا تدلُّ إلا على قلب فارغٍ من الشجن، يستُرُ فراغه بالتهويل[٦]، الذي تنبّه إليه أبو تمام، فعمد - وهو يتحازَن كالفرزدق - إلى ستر خلوّ قلبه من الحزن بالإيقاع، مستعينًا بالمذهب البديعي في بناء الصور، فقال، وتأمّل المسطورَ ما تحته:

فتى كان شِرْبًا للعُفاة، ومرتعًا فأصبح للهنديَّة البيضِ مرتعا

فتى كلما ارتاد الشجاعُ من الردى مقَرًّا غداةَ المأزِقِ ارتاد مصرعا

إذا ساء يومٌ في الكريهة منظرًا تصَلاّه علمًا أن سيحسُنُ مَسمَعا

إن وحدة السياق الفني أوجدتْ نمطًا متشابهًا من التعبير عند الراثيَين الصادقين - متمّم والحارثي - ونمطًا آخر متشابهًا أيضًا عند المتحازنَين - الفرزدق وأبي تمام - فالتشابه عند الأولين في مصادر الصور، وتركيبها وتفصيلها، وعند الآخرين في الاستعانة عليها بالمبالغة أو الصنعة.

وألتفتُ إلى الصورة الأعرابية - وربما جاز نعت بعضها بالجاهلية - فأجدُها شائعة في قصيدة متمّم، مثلما نقرأ في قوله:

ولا برَمًا تُهدي النساءُ لعرسِه إذا القَشْعُ من حَسِّ الشتاءِ تقعقعا[٧]

وقوله: (خصيبٌ إذا ما راكبُ الجدبِ أوضعا)، وقوله:

فعينيّ هلاَّ تبكيان لمالك إذا أذرتِ الريحُ الكَنيفَ المرفّعا[٨]

وقوله:

وضيف إذا أرغى طُروقًا بعيرَه وعانٍ ثوى في القِدِّ حتى تكنَّعا[٩]

يقول التبريزي (ت٥٠٢هـ) مؤكِّدًا إيغال الصورة في البيئة الأعرابية، نقلاً عن الأصمعي: «إذا ضلّ الرجلُ أرغى بعيرَه، أي حمله على الرُّغاءِ لتجيبَه الإبل برُغائها، أو تنبح لرُغائه الكلابُ، فيقصدَ الحيّ، ويقال: إنما يُرغي بعيرَه إذا أتى الحيَّ ليسمعوا الرُّغاءَ، فيعلموا أنه ضيف، فيدعوه إلى منازلهم»[١٠].

فهذه الصور لن تجد مسلكًا في قصائد الحضريين، كأبي تمام وابن زيدون، إلا تقليدًا، وربما جاز عدُّها في سياق كلمة متمّم ذات صبغة ليست لغيره، ولكن الصورة العامة التي يُعمَد فيها إلى بعض طرق البيان الشائعة، كالتشبيه بما توارد الشعراء على التشبيه به، من سيف وبحر ونحوهما = هذه الصورة ظاهرة في جُلّ القصائد المدروسة، فلمتمّم: (تراه كصدرِ السيفِ يهتزُّ للندى)، ولأبي تمام وقد نحا نحوًا تعميريًّا للصورة، فأخذ التشبيه بالسيف، ولكنه أوغل في الاستعانة بالخيال، وعمد إلى تشبيه مركّب، مصوِّرًا مصرع المرثيّ في الحرب:

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَريبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

ومن النمط التصويري الذي ظهر عند متمِّم والحارثي فحسب، وغاب عن قصائد الباقين، ما يدخل في (التفريع) البديعي عند القدماء، والأوجَهُ تسميته بـ(الصورة الاستدارية)[١١]، وهو أسلوب مبنيٌّ على الابتداء بـ(ما) النافية العاملة عمل (ليس) الداخلة على المشبّه به، ثم يورَد فيه بعضُ أوصافه وشياته أو أحواله، ويُختمُ بـ(أفعل التفضيل) المقترن بالباء الزائدة، خبرًا لها، متّصلاً بالمشبّه[١٢]. وجاءت هذه الصورة في أربعة أبيات عند متمّم:

وما وَجْدُ أظآرٍ ثلاث روائم ... أصَبنَّ مَجَرًّا من حُوارٍ ومصرعا
يذكّرنَ ذا البثِّ الحزينَ ببثّهِ ... إذا حنّت الأُولى سجَعْنَ لها معا
إذا شارفٌ منهنَّ قامتْ فرجّعتْ ... حنينًا فأبكى شَجوُها البَرْكَ أجمعا
بأوجدَ مني يومَ قام بمالكٍ ... مُنادٍ بصيرٌ بالفراقِ فأسمعا

وعند الحارثي في واحد وعشرين بيتًا، أولها:

فما أمُّ سَقْبٍ أودعتْه قرارة ... من الأرضِ وانساحت لترعى وتهْجعا
....
بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقًا ... عليك، ولكن لم أجدْ عنك مَدفعا

وليس عدول الشعراء عن هذه الطريقة البيانية عجزًا، أو «لأنهم لم يفطنوا لأبعادها الجمالية، وخصائصها الفنية، وطاقاتها الإبداعية»[١٣]، بل لأنهم آثروا أنماطًا تصويرية جديدة، ولا سيما أبو تمام ذو الفن البديعي المشهور، وابن زيدون الذي كان يرثي امرأة أجنبية.

أما ظهورها اللافت للنظر فهو عند الحارثي، لطول الاستدارة في الصورة، إذ بين (ما) التي ابتدأ بها (ما أمُّ سَقْبٍ)، وأفعل التفضيل المسبوق بالباء (بأوجع) = بينهما تسعة عشر بيتًا، افتنّ فيها بتفاصيل الصورة التي بنى عليها المقطع الأول، وكأنما أراد بذلك بزَّ شأوِ متمّم والفلَج عليه؛ ولاسيّما أنه متأثر بقصيدته تأثُّرًا كبيرًا. ولا شك في أنه - إذْ يعارضُ متمّمًا - يشعر بمقدار ما يحتاج إليه من إظهار المقدرة، حتى لا يُوصف بالكُبوّ عن الإبداع. ومن أجل هذا جاءت قصيدته «أشبه بشعر العصر الأموي، بل بشعر العصر الجاهلي»[١٤].

والحقّ أن بين قصيدتي متمّم والحارثي شبهًا كبيرًا، جعلني أحكم بأن الثانية منهما معارضة للأولى، وهذا ما ذهب إليه أيضًا خليل مردم (١٣٧٩هـ)[١٥]، وقد قال ابن المعتز (ت٢٩٦هـ): إن عينية الحارثي «ليست بدون قصيدة متمّم»[١٦]، ثم أورد بضعة أبيات من هذه الصورة الاستدارية وعلّق قائلاً: «وهذا كلامٌ يُعجِز الشعراءَ ويفضحهم»[١٧].

والمهم - في معرِض تلمُّس أثر وحدة السياق الفني - أن نمط التصوير الاستداري لم يستدرِجْ من تأثروا بمتمّم - كالفرزدق - إلى انتهاج هذه الطريقة، وربما كشف هذا ضعفَ تأثير هذه الوحدة في اختيار نمط دون آخر.

ومن مظاهر أثر وحدة السياق: تواطؤُ بعض الشعراء على توظيف بعض الأعلام ذات الصلة بالمعنى الكلّي للقصائد، فقد ورد عند كثير منهم لفظ (تُبّع)، وانفرد بعضهم بذكر آخرين من أعلام الأمم الهالكة. ومهما يكن، فهذه الأعلام تفيد «في ترسيخ مبدأ المماثلة التشبيهية والاستعارية، من حيث هي أعلام إيحاء. وأعلامُ الإيحاء تسمو بجماليّة النص الأدبي؛ لأنها تستحيل موادَّ بناء وأساليبَ أداء، دالّةً بحقيقتها من حيثُ هي مُثُلٌ عُليا مشتركة، أو شخصية تترجم عن نظرة الشاعر إلى الكون»[١٨].

وعليه، فإن بعض أسماء أولئك الأعلام فقدت وظيفتها التعيينية، وصارت صفاتٍ دالّة، أي حاملة لمعنى، أي إنه وقع عدول بها عن دلالة التعيين إلى دلالة

الوصف[١٩]. والذي أعبأ به هنا أن بعض القصائد العينيات اشتركت في هذا العدول، ولكنّه عدولٌ غير صريح في دلالته على الاختيار الأسلوبي؛ لأن شبهة التقليد والتأثر واردة. ثم إن وحدة السياق الفني- كما أسلفت- ذات تأثير بيّن في استعمال اسم (تُبّع). وسوف أشير في مبحث الموسيقا إلى أمرٍ آخر ذي صلة بتوظيف الأعلام.

ثم إن عناية بعض هؤلاء الشعراء بالتصوير وتكثيفه، هو مظهر من مظاهر العدول الأسلوبي، ومنشأُ العناية بالصورة عند الشعراء أنهم يُلفون الألفاظ ممتنعةً عن الاستجابة والمطاوعة للتعبير عن المعنى الدقيق الذي يرومون بلوغه، وإبلاغه، فيعمدون إلى الصورة، التي هي استدراك على نظام الدلالة، بمراجعة العلاقة بين الأسماء والمسمّيات، وعليه فالصورة الناجحة لا تعبِّر عن نظير مطابق لما يُوصفُ باللغة العاديّة، بل تعبّر عنه تعبيرًا جديدًا مدهشًا بعيدًا عن الابتذال[٢٠]. ولننظر في قول جوّاب، وقد شبَّه نفسه بالطير مستعينًا بالاستعارة:

لقد كنتُ ذا ركن وريشٍ فلم يزلْ بيَ الدهرُ حتى أصبحا قد تضعضعا

إنني أراه موفّقًا في ابتكار صورة جيّدة غير مألوفة، ولكنه لم يبلغ بها حدّ الإدهاش؛ لأنه بقي في نطاق ضيّق. وكأنّما لزّته الوحدة السياقية إلى لفظ (تضعضعا) فلم يبلغ بها ما يريد، لعجزِها عما تحتمله لفظتا (تحطّما) و(تفرّقا) مثلاً، وهما أقرب إلى وصف زوال الطير وذهاب الركن (ويريد به العشّ).

ويبدو أبوتمام- على ما عُهد في شعره وعُرف عن مذهبه- أحرصَهم على التجاوز الفني في هذا الباب، فقصيدته- على قِصَرها، وعلى أنه كما أسلفت متحازنٌ لا حزين- منطوية على بضع صور بديعة، كقوله:

مصيفٌ أفاض الحزنُ فيه جداولاً من الدمعِ، حتى خِلتُه عاد مربَعا

وقوله الآخر:

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَريبةً فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

وتوافَى الشعراء على توظيف المبالغة في تركيب الصور. وفيما سلف نماذج من قصيدة الفرزدق. وهذا ملمح فني ظاهرٌ في الشعر العربي كلّه، ولكني أشير في هذا المقام إلى استلالهم صورًا من صور أخرى، أو إعادتهم صياغتها، مستعينين في بنائها بتشابه التراكيب، وأعانتهم عليها وحدة السياق، يقول متمّم:

فلو أن ما ألقى يصيبُ متالعًا أو الركنَ من سلمى إذن لتضعضعا

وهو يأتي بالمبالغة افتراضًا (لو أنّ...)، وعلى نهجه قال الفرزدق:

ولو أن يومَيْ جُمعتيْه تتابعا على جبلٍ أمسى حُطامًا مصرَّعا

ولكنّه ترك الافتراض في بيت آخر، وادّعى وقوع الأمر وتحقّقه، إذ قال:

وما لكما لا تبكيان وقد بكى من الحزَنِ الهضْبُ الذي قد تقلّعا

وسلك الحارثي وابن زيدون مسلكهما، فالحارثي يقول:

فلو أن طودًا من تهامة ضافَهُ من الوجدِ ما قد ضافني لتضعضعا

أما ابن زيدون، فربّما صحّ القول بأنه أعاد صياغة بيت متمّم، فقال:

أُصبنا بما لو أن هَضْبَ مُتالعٍ أُصيبَ به لانهدَّ أو لتضعضعا

إن هذا المورد الواحد في تركيب الصور يصدِّق الحكم بـ«أن الشاعر يبدع في سياق من الصور المتراكمة في ذاكرته»[٢١]، ولهذا كان من وسائل البحث عن (شعرية) القصيدة الإلحاح على كشف الامتياز والتفرّد فيها، وإن كان منبنيًا على إبداع سابق، وحتى يتّضح هذا أضرب مثالاً بصورة (الدمع المنسكب) التي تشكّل الدائرة الكبرى التي اتفقت فيها القصائد، فقد افتَنَّ بعض الشعراء في تركيبها والإضافة إليها، فلَبيد يقول:

فعينيَّ، إذْ أودى الفراقُ بأربدٍ فلا تجمُدا أن تستهلاَّ فتدمعا

وخطاب العين مفتاح لصورة (البكاء) التي لا تفارقُ شعر الرثاء، ولكنّ الشعراء يختلفون فيما بعدَ هذا الخطاب، وها هنا نجد لبيدًا يستدعي الدمع من عينيه استدعاءً مباشرًا (لا تجمُدا أن تستهلاَّ)، ثم يُردف بالخبر ولا يُكمل الصورة، إذ قال:

فتًى عارفٌ للحقِّ لا ينكرُ القِرى ترى رَفدَه للضيفِ ملآنَ مُترَعا[٢٢]

وعلى نهجه في خطاب العينين، ولكن في صورة أكثر إحكامًا وتماسكًا قول متمّم:

فعينيَّ، هلاَّ تبكيان لمالكٍ إذا أذرتِ الريحُ الكنيفَ المُرَفّعا[٢٣]

فهو يستبكي من يسمعه بهذه الصورة الثاوية في العجُز؛ لأنه يُذكّره بعضَ شمائله التي يُبكى عليه لأجلها، يقول التبريزي: «أي هلاَّ تبكيان لمالكٍ في ذلك الوقت، لشدّة الخَلَّة، وإطعامه الناس»[٢٤].

ثم إن متمّمًا أعاد خطاب العين (وللشربِ فابكي مالكًا)؛ وقد «خاطب في الأول العينين، ثم أفرد بالذكر إحداهما...لأن إحداهما لا تنفكّ من الأخرى»[٢٥]. وهذا الافتنان في تلوين الخطاب والتكرار مَدعاةٌ لأنْ يعلو مستوى الصورة وما أحاط بها عما هي عليه عند لبيد.

ثم اختلفت الحال عند الشعراء اللاحقين، فالفرزدق يقول:

فعينيَّ ما الموتى سواءٌ بكاهُمُ فبالدمِ إن أنزفتما الماءَ فادمعا

والإضافة الفنية هنا أن تبكي العينان دمًا، والصياغة فيها إنشائية (باستعمال فعل الأمر)، وهي في هذا المقام أقلُّ قيمة من الصياغة الخبرية التي تؤكّد وقوع الشيء، وزاد أن شفع البيت بما يكثّف التصوير، فقال:

وما لكما لا تبكيان؟ وقد بكى من الحَزَنِ الهضْبُ الذي قد تقلّعا

ثم أخذ أبو تمام الصورة، وعَدَل بها إلى منحى آخر، فقال:

ووالله لا تقضي العيونُ الذي له عليها، ولو صارتْ مع الدمعِ أدمُعا

فقد مهّد لها - كما ترى - بالقسَم، بأنَّ كلّ بكاء على المرثي مهما بلغ لا يوفّيه حقّه. وجاء بالصورة مبتكَرة، فحتى لو ذابت العيون حتى تصير دمعًا، فلن تقضي حقّ المرثيّ. فثمّ إيغال في مجازيَّة الصورة، وهو ضرب من التعمير لها.

ثم نجد ابن زيدون يلتقط هذه الصورة (أن تكون العيون نفسها دمعًا)،

ولكنه يجعلها للقلب، ذاهبًا مذهبًا مجازيًّا أعمق وأطرف:

لرُزئكِ تنهلّ الدموع، فمثله إذا حلّ وَدَّ القلبُ لو كان مدمعا

فالصورة إذن ذات نواة مركزية تشظّت عنها صور تُلُطّف في صياغتها، وأعان على توليد بعضها من بعض وحدة سياقها الفني، لأن الغرض واحد، فيلائمه ذكر البكاء، والقافية واحدة، فالاستعانة بلفظ (دمع) وما اشتُقَّ منه مناسب سمح لأنْ يُؤتى به رويًّا. واتحاد البحر معينٌ أيضًا على تعمير الصورة؛ لما في نغمات التفاعيل وما يجوز وما لا يجوز من زحافات ونحوها من تأثير في اختيار ألفاظ أو تراكيب بأعيانها.

وأقف ببعض الصور الأخرى التي نمّاها بعضهم، أو كرّرها، ففي قول أبي تمام: (وأصبح مغنى الجودِ بعدَك بلقعا) صورة للوحشة التي غَشِيَت المغنى، إذْ أقفر من صاحبه، وهي عينها الصورة التي نقلها ابن زيدون في قوله:

مسبِّحةُ الآناءِ قانتةُ الضُحى ثوتْ فثوى مغنى التأوُّه بلقعا

والاختلاف بينهما في وصف المرثيّ وحاله فحسب، ذلك أن أبا تمام يرثي رجلاً، أما ابن زيدون فيرثي امرأة؛ ولذا جعل المَغْنى البلقع هو مَغْنى التأوُّه والعبادة، فصرفه عن مغنى الجود الذي كان ملائمًا لمرثيِّ أبي تمام.

وعندهم نجد صورة أخرى تتضمّن الفكرة الوجودية (أن عمر الإنسان محدود)، ولكن كيف جاءت عند كل منهم؟ لقد صاغها لبيد صياغة سمحة فلم يتعمّل لها، إذ قال:

دعا أربدًا داعٍ مجيبًا فأسمعا ولم يستطعْ أن يستمرَّ فيمنعا

وجاء بها متمِّم في معرِض خطابه للشامت، فجنح بها إلى صياغة أكثر شعريّةً، إذ شخّص الموتَ، فقال:

فلا تفرحَنْ يومًا بنفسِك إنني أرى الموتَ وَقّاعًا على من تشجّعا

ونحا ابنُ زياد هذا النحو من التشخيص، فجعل الموت كالموتور الذي طلب

ثأره، فأوقع الصدْع بالراثي وأهلِ وُدّه، وذلك قولُه[٢٦]:

عذيريَ من دهرٍ كأني وتَرتُه ... رهين لشَعبِ الودِّ أن يتصدّعا

ثم أوغل الحارثي في تشخيص الموت، مفصِّلاً القول على طريقته المعهودة، إذْ هو شديد الاستقصاء والتنويع في تمثيل حزنه وتصويره[٢٧]، فقال:

وما أحدٌ إلا له الموتُ ناصبٌ ... بموقعةٍ منه حبائلَ صُرَّعا
وكلُّ امرئٍ منها بمنزلِ قُلْعةٍ ... وإنْ ولَّدَ الأولادَ فيها وجمَّعا

غير أن بيته الأخير - وهو ختام القصيدة - هبط بالصورة، لأنه كرّر المعنى بلا طائل، واعتمد على لغة تقريرية في العجُز، وكان أبو تمام أبرعَ منه إذ ختم القصيدة ببيت عُدَّ من شوارد شعره، وذلك قوله:

فإن تُرمَ عن عُمرٍ تدانى به المدى ... فخانك حتى لم يجدْ فيك منزَعا
فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضَريبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

ثم استثمر ابن زيدون تشبيه المرثيّ بالسيف، ولكنّه عدلَ إلى صورة أخرى، إذ قال عن أمّ المعتضد:

أصَرْفَ الردى، لو أن للسيفِ مضرِبًا ... لما رُعتَنا، أو أن في القوسِ منزَعا

فانطوت صورتُه على تشبيه التشبُّث بالحياة ودفع الموت بفعل مقاتل حمل سيفًا وقوسًا، يدافع عدوًّا، ولكنه عجز عن ردّه، إذْ لم يبق في السيف مضرِبٌ، ولا في القوسِ منزَع، وهذا الاختلاف بين أبي تمام وابن زيدون يؤكّد أثر السياق والمقام في تشكُّل القصيدة، وفي جنوحها إلى نمط أسلوبي دون آخر، فإن مقام رثاء أمّ الأمير غير مقام يُرثى فيه غيرها، ولهذا ذهب ابن زيدون إلى مدح الأمير في سائر القصيدة؛ لأنه - أي الأمير - هو المخاطَب بالشعر، وهو من يُطمَح إلى إيقاع الأثر في نفسه، فهو المقصود الأكبر به، أما الأمّ المرثيّة فسببٌ توصّل به إلى التقرّب منه والزُّلفى إليه.

ثم إن توارد الشعراء على هذا السياق الفني المتّحد، لم يمنع من استئثار كلّ منهم بما يُفرده عن أقرانه، فمتمّم - كما أسلفت - أعرابي الصورة، والفرزدق يستعين بالفضاءَين الديني والاجتماعي في قوله:

وقائلة ليت القيامةَ أُرسلتْ علينا، ولم يُجْروا البريدَ المقزّعا

وعند ابن مُطير صورة لا يُنازَع فيها، قال عنها أبو هلال: إنها «أحسنُ ما قيل في بقايا آثار الميّت»[٢٨]، وأردف مثنيًا على القصيدة كلِّها: «وأنا أقول: إن هذه الأبيات أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام»[٢٩]، وقال ابن الأثير (ت٦٣٧هـ): إن الصورة من أغرب ما سَمِعَ في هذا الباب[٣٠]، يعنيان تشبيه المركّب بالمركّب، وهي قوله:

فتًى عِيشَ في معروفِه بعد موته كما كان بعد السيلِ مجراه مرتعا

والحارثي يجيد تعمير الصور الموروثة، فقد استلّ من الكناية المشهورة عن الكريم (جبان الكلب)[٣١] تعبيرًا جديدًا، إذ قال: (قَطِيعُ لسانِ الكلبِ عن نَبْحِ ضيفِه)، وبهذا عدل عن تركيب كِنائي برَد تأثيره، لكثرة ما قيل وسُمِع، إلى تعبير جديد يتوسّل بصورة مشتقة من الصورة الأولى، وإن كانت أدنى منزلة منها.

والتَفتَ الحارثيُّ أيضًا إلى الصورة التي افترعها طرفة في قوله: (أرى الموتَ يَعْتامُ الكرامَ)[٣٢] فقال:

رأته المنايا خيرَنا فاختَرَمْنَه وكنَّ بتعجيلِ الأَخايير نُزَّعا

ويوغل في تركيب صور ملوِّحة بمقدرة فنية، يقول:

وتبعثُ يقظانَ التُرابِ جيادُه ونائمَه حتى يهبَّ ويسطعا

وابن زيدون لم يخرج في تصويره عن فضاء (الصلاح والتديّن)، كقوله:

خفضتَ جناحَ الذُّلِّ في العزِّ رحمةً لها، وعزيزٌ أن تذلَّ وتخضعا

وقولي: إنه لم يخرج عن ذلك الفضاء مخصوص بالأبيات التي تدخل في الرثاء، أما سائر القصيدة الذي انطلق فيه مادحًا للمعتضد، فهو خارج عن هذا الحكم. ثم إن حكمي هذا لا يسلبُه أنه اقتدر على تركيب صور جيدة، اشتقّ مكوّناتها من الفضاء الذي لم يُرِد للمرثيّة أن تخرج عنه، وهو فضاء (الصلاح والتديّن)، فقد قال مثلاً:

وأن التُّقى قد آذنتْنا بفرقة ... وأنّ الهُدى قد بان منك فودّعا
لقد أجهش الإخلاصُ بالأمس باكيًا ... عليك، كما حنَّ اليقينُ فرجّعا
منارٌ من الإيمانِ لم يعْدُ أنَ هوى ... وحبلٌ من التقوى وَهَى فتقطّعا

فهذه الصور المتوالية خارجة عن فضاء التصوير الذي انتمى إليه أغلب الصور عند سابقيه، وهي التي منحت قصيدته بعض امتيازها وتفرّدها، وإن اتحد سياقها الفني مع سوابقها.

مظاهر في الموسيقا:

أما الإطار الموسيقي العام الذي هو الوزن أو البحر، فلا وجه للوقوف به؛ لأن البحر واحد هو الطويل، غير أنه يمكن تأمّل بعض الظواهر المهمّة ذات الصلة بوحدة السياق الفني.

وأبرزها غياب التصريع والتقفية عن سبع من القصائد، فهو لم يظهر إلا عند أبي تمام، ويحيى بن زياد، وابن زيدون. والتصريع والتقفية مَظهرَا اعتمالٍ فني في الغالب، وأثر من آثار التنقيح، وهو متصل بالغرض والمرثيِّين، وقد بان أنَ خمسة من الشعراء الذين أعرض لقصائدهم يرثون إخوانهم، ورثاء الأخ ليس كرثاء غيره؛ ففيه اللوعة والبثُّ الصادق الذي لا يحكمه تكلّف، ولا يسيطر عليه ادّعاء، فهو يتدفق سهلاً سمحًا غير مجتلَب، ولا يُسعى فيه لإرضاء سامع، ولا لاستجداء مخاطَب ذي منزلة.

على أن ترك التصريع هو مذهب الكثير من الفحول. ومن الشائع عند المجوِّدين ألا يأتوا بالقافية إلا في العجز[٣٣]، غير أنهم «جعلوا التصريع في مهمّات القصائد، فيما يتأهّبون له من الشعر، فدلّ ذلك على فضل التصريع»[٣٤].

وأميل أيضًا إلى تفسير غياب التصريع والتقفية عن قصائد الفرزدق وابن مُطير والحارثيّ بأنه ضربٌ من التأثر بلبيد ومتمّم، ولاسيّما الأخيران، ففي قصائدهم ما يوحي بأنهم متأثرون جِدَّ التأثّر بعينية متمّم التي هجم فيها على

غرضه، فلم يصرِّعْ ولم يُقَفِّ، وهذا يعني انسياقهم في القَريّ الذي احتفره متمّم، وإيثارهم أن يُسلَك شعرهم في نمطه العالي. والحارثيّ أكثرهم تأثُّرًا به، حتى عُدّت عينيته «مثالاً للأسلوب العربي الخالص»[٣٥].

ومن المظاهر الموسيقية التي لم تظهر إلا عند لبيد ابتداء البيت الأول مخرومًا، في قوله:

يا ميَّ قومي في المآتم واندُبي فتًى كان ممن يبتني المجدَ أروعا

و«الخَرْم: إسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبنيٌّ على الأوتاد المجموعة»[٣٦]، ومنه حذف فاء (فعولن) في أول الطويل، فتصير (عُولن)، كما في هذا البيت (يا ميّ = عولن)، وهو شائع عند القدماء، ولكنّ نُضج التجارب الموسيقية عند الشعراء - على ما بدا لي - دفعهم إلى اطِّراحه؛ فهو ثقيل موهِمٌ بانكسار الوزن؛ ولذا قلّ، بل ندر، عند الشعراء المولّدين ومن بعدهم[٣٧]. ورحم الله الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) فقد كان - لعلوّ حسّه الموسيقي - يُنكره، ولم يُجِزْ وقوعه[٣٨].

ولا شكّ في أن هذين المظهرين الموسيقيّين ليسا ذوَيْ صلة بوحدة السياق، ولكنّي آثرتُ الإشارة إليهما، لأنهما يكشفان أن تلك الوحدة - ولا سيما في نطاقها الموسيقي - لا تغري الشاعر باتّباع كلّ مظهر فني، وأن عند الشعراء من النباهة الفنية ما يجعلهم يطّرحون ما لا يلائم أذواقهم[٣٩].

أما تفعيلات بحر (الطويل) فينبغي ابتداءً الإشارة إلى أن القول بصلاحية بعض البحور لمعانٍ دون أخرى غير ذي وَجاهة، وليس في التراث الشعري ما يشفع لهذا القول بالقبول، وليس ثمَّ خصائص سابقة للوزن، بل يكتسب كلُّ وزنٍ خصائصَه داخل التجربة، بحيث يمكن أن نجد قصائد متعدّدة من الوزن نفسه، ولكنّ كل قصيدة تفرض على الوزن خصائص ليست له في غيرها من القصائد، بسبب العلاقات المتميزة التي تشكّل القصيدة[٤٠]. غير أن هذا لا يمنع من تشابه القصائد ذات الوحدة السياقية، كهذه العينيات.

والذي يعنيني هنا هو أن تفعيلات بحر (الطويل) تهيِّئ للشاعر مجالاً رحبًا للانزياحات الموسيقية في حشوه؛ إذ إنه بحر ثنائيّ التفعيلات (فعولن مفاعيلن)، وكل واحدة من هاتين التفعيلتين تقبل من التغييرات ما يجعلها مَرِنة للتعبير عن المشاعر. والتغييرات فيهما تأتي على هذا النحو:

التفعيلة	التغييرات	
فعولن	عُولن	فعولُ
مفاعيلن	مفاعلن	مفاعي

ورحابة تفعيلات هذا البحر هيّأت للشعراء التصرف في تراكيبهم وألفاظهم دون أن يُضطرّوا إلى شيء من التكلّف أو ارتكاب الضرائر، فتشابهت قصائدهم من هذه الجهة، فلم أجد عندهم شيئًا يُسلَك في هذا.

بل إن الزحافات التي شاعت في قصائد الجاهليين وكانت مستثقلة، لم تظهر عندهم، فجاءت القصائد ناضجة الموسيقا، وهذا يعني أن المنشئ والمتلقي كان لهما أثر في نموّ الحس الموسيقي الذي ازوَرّ عن المجيء بـ (فعولُ مفاعلن) التي تعرقلُ تدفّق النغم في حشو الطويل، بل هي توهم أحيانًا بأن الشاعر خرج عن الوزن. وتَوالي القبض في هاتين التفعيلتين (فعولن تصبح فعولُ، ومفاعيلن تصبح مفاعلن) من الزحافات التي كانت ظاهرةً في شعر نفر من شعراء الجاهلية كامرئ القيس (ت نحو٨٠ ق هـ)[٤١]، ثم غلب التنقيح والعمْد لإكمال التفعيلتين على مَن بعدَهم، ولاسيّما من المولّدين ومن وليَهم، فافتنّوا في تجنّبها؛ لإيهامها ما أسلفتُ من اختلال الوزن، أو لأنها ـ في أقلّ أحوالها ـ تجور على لذّة التنغيم.

وتتبّع إحدى تفعيلتي الحشو (مفاعيلُن) في العينيات يكشف أنها جاءت في الأغلب تامّةً (مفاعيلُن). وهذا هو الشائع في البحر الطويل على تعدّد الأغراض والقوافي؛ وعليه فليس لهذه القصائد سمات مخصوصة من هذا القَرِيّ، سوى ما ألمحت إليه آنفًا من نضجها الموسيقي الذي جعلها بمنجاة من الزحافات الثقيلة.

وأمضي إلى كلمات القوافي، بوصفها جزءًا من موسيقا الإطار. والذي يلفت النظر هو أن أكثر تلك القصائد اشتركت في كلمات عدة اتُّخذت قوافي، وهذا بعض التفصيل الذي لا بدّ منه؛ حتى تتضح الرؤية، ويسهل إطلاق الحكم:

فهذه الأربع الكلمات التالية وردت عند متمّم ولبيد، وهي: (أوجعا، أروعا، المفجّعا، تُبّعا)، وقِصَر قصيدة لبيد قلّل الاشتراك في الألفاظ، بدليل اشتراك قصيدتي متمّم والفرزدق في أربع عشرة كلمة، هي هذه: (أوجعا، ودّعا، بلقعا، تضعضعا، أجمعا، تُبّعا، معا، أسمعا، مفجَّعا، أخضعا، أجدعا، مُقَنّعا، أروعا، أوضعا)، وهذا يكشف أن التشابه والائتلاف بين قصيدتي متمّم والفرزدق أكثر منه فيما عداهما، وللروح الأعرابية وتقارب العهد أثر في ذلك، فضلاً على أن قصيدة الفرزدق كان أشبه بالمعارضة لقصيدة متمّم.

ووردت هذه الكلمات الخمس عند أبي تمام وابن زيدون: (بلقعا، ودّعا، مِسمعا، منزَعا، تقطّعا، مرتعا)، ولو طالت قصيدة أبي تمام أيضًا لزادت نسبة المشترَك؛ فإن للغرض والمقام المتماثلين أثرًا في استدعاء الألفاظ، سواء أكانت في القوافي أم في حشو الأبيات.

وأجلى ما يلفت النظر في تلك الكلِم ـ وقد أسلفتُ شيئًا من هذا في التعليق على المعجم ـ أن أكثرها مسلوك في ألفاظ الفجيعة والبكاء، أو هو مما يقع في سبيل تلك المعاني، مثل: تضعضعا، مصرعا، أُصرَعا، تقطّعا...؛ فلا يجد الشاعر محيصًا من استعماله، ولكن هذا لا يعني نفي تأثّر لاحق بسابق.

ولكلمات القافية من الأهمية ما يجعلها أمًّا والدة لجُلّ ألفاظ البيت، تأمّل مثلاً كلمة (تُبّع) التي تخطر في ذهن الشاعر، راسمةً صورة الهلاك، فيُجيل المعنى في خاطره، ويُهَمْهِم به، فإذا هو يتذكّر أمة أخرى هالكة، فيعطف عليها تلك اللفظة التي يريدها للقافية (تُبّع)، ويقدّم قبلها ألفاظًا تدلّ على أن الفناء سبيل الناس، يقول لبيد:

وكان سبيلَ الناس من كان قبلَه وذاك الذي أفنى إيادًا وتُبّعا

ويقول متمّم:

وعشنا بخيرٍ في الحياة، وقبلنا أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبّعا

ويقول الفرزدق:

على ابنك وابنِ الأمِّ إذْ أدركَتْهما الـ منايا، وقد أفنين عادًا وتُبّعا

ثم نجد ذلك مطوّلاً عند الحارثي تطويلاً هَلْهل الفكرة بلا طائل:

هو المتعسُ النعمانَ قسرًا وقبله أبا كَربٍ والأيهمين وتُبّعا

وزيدين كهلانَ وعمْرِ بنِ عامرٍ وحلوانَ أردى عَنوةً والهَمَيْسَعا

ويقع كلّ ذلك لأن قوانين الاختيار وتَطالُب الكلمات واقتضاء بعضها بعضًا تؤدي إلى توقّع كلمة بعينها[٤٢]، سواءٌ أكانت كلمة القافية مستدعية ما قبلها، أو كانت بعض ألفاظ الحشو ملوّحة لكلمة القافية ممهّدة لها.

ومن أثرها أن تجعل المعاني متصاقبة، وانظر في قول يحيى بن زياد - وقد بنى بيته على لفظ (أصرع) - إذ قال:

مضى صاحبي، واستقبل الدهرُ صَرعتي ولا بدّ أن ألقى حمامي فأُصرَعا

فلفظ (أُصرَع) هو نواة البيت، ومن هذه النواة استُلّ لفظ (صَرعتي)، واستُدعي لفظ (الحِمام)، فجاء المعنى المعهود في صياغة أراد لها القائل أن تنفرد عن كلّ تعبير قبلها.

ومثله لفظ (مَصرَع) في قول جوّاب الأسدي:

وما من فتًى إلا . وإن طال عمرُه وإن عاش.إلا سوف يُصرَع مَصرَعا

وفيهما تماثُلٌ لفظيّ بين (أُصرَع، ومَصرع)، من حيث إنهما لفظان لا يغيبان عن راثٍ يبني رويَّه على عين مفتوحة مطلقة في مثل هذا السياق، وهي أيضًا نواة البيت لغة ومعنى، فبلفظ (مصرع) تذكّر الشاعرُ العمرَ والعيشَ، فاستدعى الحقيقة التي لا جدال فيها.

ويصدق ذلك على بعض ما اشتُقّ من هذا الجذر (ص ر ع)، ومنه ما بدا في قول الحارثي الذي لم يخرج عن المعنى الذي أراده هذان، يقول:

وما أحدٌ إلا له الموتُ ناصبٌ بموقعةٍ منه حبائلَ صُرَّعا

ومن ذلك أن تجدَ لفظ (أوضعا) في بيت الفرزدق:

جماجمَ قومٍ ناكثينَ جرى بهم إلى الغيِّ إبليسُ النفاقِ وأوْضَعا[٤٣]

تجدَه مولّدًا في ذهنه ألفاظ البيت ودلالاته، ولا سيّما إذا التفتنا إلى علاقة (الإيضاع) بوصف المنافقين في القرآن الكريم ﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾[٤٤]، فكأن التفكير في استعمال لفظ (أوضع) جلب المعنى إلى الشاعر، وهيّأ له ألفاظًا متصلة به (ناكثين، والغيّ، والنفاق).

ولكننا نجد هذا اللفظ عند الحارثي في سياق مضادّ، إذ استعمله في صفة مدح للمرثي، فقال:

فتى كان لا يدعو إلى الشرِّ نفسَه فإن جاءه الشرُّ امتطاه وأوضعا

ومن أثر كلمات القوافي التي قد تبرز في ذهن الشاعر قبل ألفاظ البيت كلها، أن تكون حاكمةً للظاهرة البديعية عنده، مهيمنة على اختياراته، ولعل هذا المظهر الفني يستبينُ بما في هذا الجدول:

كلمة القافية	اللفظ المستدعى	الفن البديعي الناشئ عنه
قصيدة الحسين بن مُطير		
متجرّعا	تجرّعتها	جناس
بلقعا	عامرًا	طباق
قصيدة الحارثي		
سُجَّعا	سجعت	جناس
أجدعا	أنفًا حَميًّا	طباق
مُطْمِع	مَطْمَع	جناس وردّ عجز على الصدر
مَقْرَعا	قرعتني	جناس وردّ عجز على الصدر
قصيدة يحيى بن زياد		
أصرعا	صرعتي	ردّ العجز على الصدر
مَدْفَعا	دفعنا	ردّ العجز على الصدر

قصيدة أبي تمام		
أسمعا	أصمَّ	طباق
بلقعا	مغنى	طباق
مُمرِعا	مُمْعِرًا (مجدبًا)	جناس
مربَعا	مَصيفٌ	طباق
مسمَعا	منظرًا	طباق
مرتعًا	مرتعًا	ردّ العجز على الصدر
مصرَعا	مفَرًّا	طباق
تقطّعا	فقطّعها	جناس وردّ العجز على الصدر

إن كل كلمة في قوافي القصيدة تكاد تكون هي نواة البيت، ولاسيما عند أبي تمام، فكلّ فنٍّ بديعي عمد إليه إنما قدَحَتْه لفظة واحدة، وهذا يؤكّد أهمية القافية في بنية الشعر العربي، وشدّة أثرها في استدعاء معجم متصل بها، واختيار ما يلائم منه. ويؤكّد هذه الظاهرةَ عند أبي تمام استعراضُ شعره، فهو غزير المادة من هذه الجهة، حتى ذُكر أنه «ينصبُ القافية للبيت؛ ليعلّق الأعجاز بالصدور»[٤٥].

وهذا مرتبط بمسألة اعتماد الأسلوب على الاختيار، وأنه خصيصة فردية، وهذا ـ وإن عُدَّ من قوانين الأسلوبية المعيارية ـ داخلٌ في كل الاتجاهات الأسلوبية الأخرى[٤٦].

وعودًا على بدءٍ أقول: إن كلمة القافية قد تكون هي نواة البيت فيما أرى، وقد تكون هي المهيمنة على كلّ اختيار في حشوه؛ ولذلك يظهر أثر وحدة السياق الفني في هذا الجانب ظهورًا جليًّا، إذْ إن كلمَ القوافي في تلك القصائد تتشابه، أو تكون هي إياها؛ لموضع الحاجة إلى التقفية بها، ومن ثمّ تتشابه القصائد غالبًا.

وليست المسألة وَقفًا على موضع الحاجة إلى التقفية بالعين المفتوحة المطلقة فحسب، بل إنها متصلة بوزن الكلمة، والوزن متوقَّع مؤثِّر[٤٧]، فإن بعض الكلمات لا تلائم تفعيلة الضرب في هذا النمط من الطويل (مفاعلن)، فلو أراد الشاعر

أن يقفِّي بمثل (مستمتعا) أو (فزِعا) أو (سطَعا) ونحوها لما طاوعه الوزن؛ وعليه عددتُ ما سلف من أثر وحدة السياق الفني.

مظاهر في البناء:

لم يظهر لوحدة السياق الفني أثر كبير في البناء، فليس ثمَّ تماثل ظاهر، بل اختلفت المطالع، وابتُدئ في بعضها بالتقفية لا بالتصريع، ويمكن أن نُجري هذا الحكم على كل قصائد الشعراء القدماء، وقد استبان اختلاف القصائد المدروسة طولاً وقِصَرًا، واستهلالاً وختامًا، وشروعًا في المعاني، ولكن معانيها متقاربة، وبعضها يطابق بعضًا.

وقد حظي بعض ابتداءات هذه العينيّات بثناء النقاد؛ إذ قيل عن عينيّة ابن مُطير كلها: إنها من أفضل الرثاء[٤٨]، وخُصَّ مطلع عينيّة أبي تمام بأنه: «ليس في ابتداءات المراثي المولَّدة مثل قوله: أصمَّ بك الناعي»[٤٩].

ومما ينبغي أن يُشار إليه - وهو ذو صلة بوحدة السياق الفني - أن في بعض المطالع تماثلاً بيِّنًا، فقول الهذلي:

لعمري لقد نادى المنادي فراعني غداةَ البُوَينِ من بعيدٍ فأسمعا

هو عينُه إلا قليلاً قولُ ابن زياد:

ألا نوَّه الداعي بليلٍ فأسمعا بخِرْقٍ كريم كان في الناس أروعا

ويقاربهما صدرُ مطلع ابن زيدون: (ألا هل درى الداعي المُثَوِّبُ إذْ دعا).

واتحدت القصائد كلها في أن ابتداءاتها خالصة للرثاء، بلا مقدمات طللية ولا نسيب، وليس من عادة الشعراء مطلقًا أن يقدّموا بين يدي الرثاء نسيبًا[٥٠]، بل إن من المستحسَن - على ما يرى بعض النقاد - أن يُستفتَح الرثاء بالدلالة على المقصد، ولا يُصَدَّر بنسيب[٥١].

أما مقادير القصائد؛ فإن طول قصيدة متمِّم لم يُغْرِ الحسينَ بن مُطَير ولا

أبـا تمـام بالإطالة، ولكنه أغرى الفرزدق والحارثي بذلـك، وجاءت بعض القطع الأخرى قصـيرة النفَس (جوّاب السـلمي: ٧ أبيات، الهُذلي ويحيى بن زياد وأبو تمـام: ١٠ أبيـات)، وعندي أن الرويّ سـمح رهْوٌ، يتيح للشـاعر أن يمـدَّ به نفَسَ القول، وليسـت هذه المسـألة متصـلة بوحدة السـياق الفني إلا من هذا الجانب فحسـب، أعني ثراء المعجم، ولا سـيّما المتصل منه باختيار كلمات القوافي. وهذا أمر تنبّه إليه حازم القرطاجني، فأشار إلى أن موادَّ العبارات عن بعض المعاني في بعض الأوزان قليلة، فيعزُّ وجود ما يجيء منها عفوًا من غير احتيال ولا تكلّف[٥٢].

أما من حيث فِكَرُ العينيات واتسـاقُها وتجاوبُها وإفضـاءُ بعضـها إلى بعض، فثمّ تقارب وتباعد؛ ففي قصـيدة متمِّم كان تأبين المرثيِّ وبثُّ الشَّـجا غالبًا على الأبيات، ممزوجًا بالشكوى من ذهاب المؤنِس، واستطالة الشامت، وتذكّر أحباب آخرين، وأما قصيدتا الفرزدق وابن زيدون ففيهما امتزج الرثاء بالمدح، وخلصَت قصـائد ابن زياد وجوّاب وأبي تمام لغرضـها الرئيس، فكانـت أقرب إلى تحقّق الوحدة الموضوعية. غير أن قصيدة جوّاب تمتاز بفِكَر ليست في سائر القصائد، وهـي تحفّزه للثأر لأخيه، وإبـاؤه قبول الديَة أو العفو عـن القاتل، ولعلّ هذا جعل اشتراكها مع سائر القصائد في كلمات القوافي قليلاً.

ولذلك كله أثر في المسـتويات الأسـلوبية، وفي تحقّق الشـعرية في النصوص، فـإن تعدُّد الأغراض، وتكاثف الفِكَر في بعضـها، مدعاة إلى طـول النفَس، الذي يسـتدعي أيضًـا تعدّد المنـازع الأسـلوبية في الاختيـار والعدول، ويجتلـب مزيدًا من التجويد الفني، وإن جنى أحيانًا على شـعرية التعبير. ويشـهد لهذا قصـيدة الحارثي التي امتدّت في نحو مئة بيت، فكان في أسلوبها تنوّع وتبايُن، ما بين نمط عربي خالص ذي طريقة جاهلية، ونمط جديد مولّد متأثر بأساليب أهل زمانه.

والذي ينبغي لي أن أقف به - وإن صـدق على معظم الشـعر العربي - أن وحدة السـياق الفني تجعل تداخل القصائد واشتباه بعضـها ببعض واردًا، إذ يمكن أن

يُؤخذ بيت من قصيدة فيُدرَج في قصيدة أخرى، فلا يكون ناشزًا عن سياقها، ولا عن تحدّر معانيها، وتجاوب ألفاظها. خذ مثلاً هذين البيتين، وأولهما لمتمّم والثاني للبيد، وقد جعلتُهما متواليين، وكذلك أنا فاعل فيما يليهما:

نعيتَ امرًا لو كان لحمُكَ عندَه ... لآواهُ مجموعًا له أو مُمَزَّعا
فتىً عارفٌ للحقِّ لا يُنكرُ القِرى ... ترى رَفدَه للضيفِ مَلآنَ مُترَعا

فهما يبدوان متصلين وكأنهما من قصيدة واحدة، ومثلهما قولهما أيضًا، والأول لمتمّم:

فلا تفرحَنْ يومًا بنفسك إنني ... أرى الموتَ وَقّاعًا على من تشجّعا
وكان سبيلَ الناسِ، من كان قبلَه ... وذاك الذي أفنى إيادًا وتُبَّعا

وهذان أقرب إلى التلاحم، فقول متمّم (أرى الموت وَقّاعًا) ناسَبَه أن يأتي بعده قول لبيد: (وكان ـ أي الموتُ ـ سبيل الناس).

ومن ذلك هذان البيتان، وأولهما لابن مُطير والآخر ليحيى بن زياد:

فكنتَ لدارِ الجودِ يا معنُ عامرًا ... فقد أصبحتْ قفرًا من الجود بَلقَعا
فلم يَبْلَ ذِكْرٌ منك كنتَ تُجِدّه ... جميلٌ ولكنّ البلى فيكَ أسرعا

فهما ـ على ما بدا ـ ملتحمان التحامًا يجعلهما صالحَين لأن يكونا في قصيدة واحدة.

إن هذا المظهر غير مخصوص بوحدة السياق الفني في هذه القصائد فحسب، بل هو صادق على كل شعر اتحد سياقه (غرضه ووزنه ورويّه)، وربما عُدَّ هذا من أسباب تعدّد نسبة الشعر القديم، واختلاط بعض القصائد ببعض، وقد عوّل بعضهم على هذا المظهر، فاتهم القصيدة العربية بالتفكّك والاضطراب[٥٣].

وليست إشارتي إلى هذه المسألة غمزًا من قناة القصيدة العربية القديمة، ولكنها وصف خالص، استدعاه تأمّل أثر وحدة السياق الفني فحسب. وعليه يحسُن بي ـ وقد وقفتُ بها، وهي المثيرة للجدل ـ أن أشير إلى رأي حصيف جِدَّ الحصافة لحسين الواد، إذ عرض لـ(الانفراط والانتظام في القصيدة العربية)،

دارسًا بعض الآراء التي اتهمتها بالتفكّك والاضطراب، مُلمِحًا إلى خصوصية القصيدة العربية في تعدّد أغراضها، وأثرها في النهوض بوظائف في المجتمع، قلّما نهض بها أدب آخر، ثم جعل من أسباب تعدّد الأغراض والموضوعات - وهو ما رأيته في بعض العينيات - أنها طويلة غالبًا، وأنه أقرب إلى الاختيار الفني «ذلك أنه يتيح للشاعر التصرف في الكلام، في مقامات متعدّدة، بأساليب متنوّعة، تجنّب السامع الملل والضجر»[٥٤]. وعَرَض أيضًا لوحدة المقاطع، وأن الاكتمال الفني فيها يُضَمّ إلى اكتمال آخر متحقّق في سائر المقاطع، وهو أيضًا ضرب من الاختيار الفني الواعي[٥٥].

إن الوحدة العضوية في العينيات متحقّقة ظاهرة في بعض المقاطع، ولا سيّما في مقطعي الصورة الاستدارية المشار إليهما سلفًا عند متمّم والحارثي.

أما وحدة الموضوع فهي الغالبة عليها، بل إن القصائد الأخرى التي اجتمع فيها غيرُ غرضٍ، كعينيات الفرزدق والحارثيّ وابن زيدون، ليست بعيدة عن هذه الوحدة؛ ذلك أن التخلُّص من الرثاء والتأبين إلى مدح المخاطَب، أو إلى شكوى الحال والمآل بعد فقد المرثيّ، هو ملمح وحدة فنية؛ لأن الرثاء هو مدح أيضًا، ولكنّ فيه - أي الرثاء - عدولاً عن صيغة (أنت كذا) إلى صيغة (كان كذا)[٥٦].

ثم إن مدح المخاطَب المُعزَّى بعد رثاء الفقيد، يتحمّل قولاً متضَمَّنًا هو أنك - أيها المخاطَب - عزاءٌ وسنَد، وأنه يخِفّ بسماعك للرثاء أثر المصيبة؛ فأنت أهل لأن يُثنى عليك، وتُنَثَّ مكارمُك.

وثمّ أمر آخر في البناء، وهو أن خواتم القصائد متشابهة، إذ تكاد تجتمع على ذكر الحقيقة الوجودية الكبرى، وهي أن الفناء مصير كلِّ حي، ولا أعني بالخواتم البيت الأخير فحسب، بل قد يكون المقطع الأخير كله خاتمة، وهو ما يظهر في عينية متمّم، إذ قال في ختامها: (أرى الموتَ وقّاعًا على من تشجّعا)، ويظهر الختام في بيت واحد مضَمّنٍ ذلك المعنى لمحًا أو تصريحًا، فمن اللَّمْح قول

لبيد:

لحا اللهُ هذا الدهرَ إني رأيتُه بصيرًا بما ساءَ ابنَ آدمَ مُولَعا

ومنه ختام عينية أبي تمام:

فماكنتَإلاالسيفَلاقىضَريبةً فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

فثمَّ إلماحٌ في هذا البيت إلى أن (التقطّع = الموت) هو المصير الحتْم لكلِّ شيء، إذ السيف (الحقيقي) لا المجازي هو كذلك متقطّع أي متكسّر يومًا.

ومن التصريح قول جوّاب السلميّ: (وما من فتًى... إلا سيُصرَعُ مصرعا). وهذا التماثل أو التقارب في الخواتيم من آثار وحدة السياق الفني، التي من أركانها المهمّة - على ما أسلفتُ - وحدة الغرض، وهو هنا أكثر تأثيرًا من الركنين الآخرين، وحدة الوزن ووحدة القافية.

وتُباين عينيّة ابن زيدون التي احتجنت غيرَ غرضٍ، واتصلت بمقام مختلف، ما عداها من العينيّات، فقد ختم ابن زيدون القصيدة ببيتٍ لاءم مدح المعتضد:

ودمتَملقًىأنجمَالسَّعْدباقيًا لدينٍ ودنيا أنت فخرُهما معا

وتعدّد الأغراض لا ينفي اتصالها وتواشجها، ولو من جهاتها الشعورية[٥٧]. وعليه فإن وحدة السياق الفني - وإن ضمّت غرضين أو أكثر - تسهم في وحدة الأغراض أو تقاربها، ولننظر في عينية الفرزدق، فهي مثالٌ جليٌّ على هذا، فهو يرثي الرجلين، ويخاطب الحجاج مادحًا، فأين وحدة الشعور هنا؟ إنها مستمدَّة من صلة المرثيَّيْن بالمخاطَب، ومن موقف الشاعر منهما ومنه، فالصلة والموقف يجعلان الشاعر متقمِّصًا شخصية الحجّاج، فكأنّه يتحدث بلسانه، بل إنه جعل الحجّاج المخاطَب هو مدار القصيدة، وهو الذي يُبتَدَأ به الكلام، فالمطلع:

لئن صبر الحجّاجُ ما من مصيبةٍ تكونُ لمرزوءٍ أجلَّ وأوجعا
من المصطفى والمصطفى من ثقاته خليلَيْه إذْ بانا جميعًا فودَّعا

ثم قال واصلاً مدحه بتأبين المرثيَّيْن:

ولم يكن الحجّاجُ إلا على الذي هو الدينُ أو فقدُ الإمام ليجزعا
وما راعَ منعيًّا له من أخٍ له ولا ابنٍ من الأقوامِ مثلاهما معا

والبحر والوزن يسهمان معًا في اتصال الأغراض، وتلاؤم الفكَر؛ لأن وحدة النغم تضطرُّ الشاعر إلى الأشباه والنظائر من الألفاظ والتراكيب، ولا سيما إذا ربطنا هذا ببعض ما يُعرف من خصائص العربية، كدوران مشتقات الجذر على معنى كلّي واحد، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وما إلى ذلك، وهو ما يجعل القصيدة في يد الشاعر كالطِّوَل المُرخى وثِنياه في اليد، فمن تلاؤم الفِكَر أن قول الفرزدق بعد ذلك بأبيات:

سميَّيْ رسولِ الله سمّاهما به أبٌ لم يكنْ عند المُلمَّات أخضعا

يضمن للفكرةَ السابقة (جزع الحجاج على الدين) ألا تُفلت من يده.

وفيها أيضًا ـ وهو يخاطب أميرًا داهيةً ـ يقرن صفاتِه أو ما يحبُّ أن يُذكَر به، بصفات المرثيَّيْن، في قوله:

أخًا كان أجزى أيسرَ الأرضِ كلِّها وأجزى ابنُهُ أمرَ العراقينِ أجمعا

وبهذا جذب انتباه المتلقي الأول (الحجّاج) إلى حسنِ تأتّيه إلى المعاني، وقدرته على إيقاع الأثر المطلوب من قصيدة في هذا الموقف.

وعليه فقد اجتمع في قصيدة الفرزدق ثلاثة أغراض: الرثاء والتعزية والمدح، ولم يَعُقْها ذلك عن مماثلة القصائد التي اتّحدت بها في سياق فني، وإن كان في مظاهر وملامح أسلوبية دون أخرى.

ومن المهم هنا التفريق بين الشعر الغنائي الذي بعضه مدار دراستي هذه، وبين الشعر الملحمي والمسرحي اللذَين يتحقّق فيهما من الوحدة العضوية والموضوعية ما لا يمكن أن يُنتظر من الغنائي؛ فيكفيه إذن أن تتحقق فيه الوحدة الشعورية[٥٨]، وحسبُه حينئذٍ أن يتحقق جوهرُها، وهو التأثير[٥٩]، الذي يزيد من نسبة تحقّقه وحدة السياق الفني؛ ذلك أن اطّراد الفكَر وتجاوبها وإفضاء بعضها

إلى بعض في نغم واحد (بحرًا ورويًّا) هو عند المتلقي العربي من أبرز ما يستميله إلى الشعر، مضافًا إليه ما ينطوي عليه من شعرية أو أدبية، تنقله من محيط التعبير العادي الذي مَرَدَ عليه في شؤون حياته، إلى محيط مستعين بلغة ساحرة مدهشة.

وبعد فأرجو أن أكون قد وضعت اليد على ما يستحقّ النظر تأمّلاً وإضافة واستدراكًا، لا افتراعًا للفكرة، فهي مما تناوله بعض النقّاد والدارسين من قبلُ، بل رَوْزًا لها، وإحقاقًا لما بلغه بعض الدارسين، ونقاشًا لمسائل مهمة في بنية القصيدة العربية القديمة.

وأهمّ ما أراه حريًّا بالنظر والتأمّل مما وصلتُ إليه، ومما هو ذو صلة بالأسئلة المثارة في مفتتح البحث، هو أن لوحدة السياق الفني أثرًا في تصاقب المعاجم الشعرية التي تتوارد على ألسن الشعراء، وتأثيرًا في بنية القوافي من حيث هي مستقاة من معاجم متقاربة، أو متماثلة أحيانًا، وأثرًا في تتابع التعمير للصور الشعرية، وإلحاحًا على فِكَر مشتركة أدّت إليها وحدة الغرض، وكل ذلك يأتي في الغالب مقترنًا بالاختيار اللغوي، متصلاً بالبحث عن شعرية التعبير.

وبدا لي أيضًا أنْ ليس لوحدة السياق الفني أثر في مسائل تتصل باللغة والبناء والموسيقا، وأن بعض ما في هذه العينيات من سمات فنية، هو مما اتصف به الشعر العربي كله، فلا خصوصية لها من هذا الجانب، ولذلك لم أقف بكثير منها، ووقفت ببعضها وقفة عجلى؛ لأُوضِح بها بعض الفِكَر فحسب.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش

(*) أستاذ الأدب والنقد في كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(١) الذِّهاب: جمع ذَهْبة وهي المطر الجَود، والغوادي المُدجِنات: السُّحب المظلمة لكثافتها، والخِرْوَع: الضعيف، ومجتَمَع الأسدام، وشارع وضَلفع: أسماء مواضع.

(٢) **جمالية الموت**، ٣٣٦.

(٣) ضرّسه الغزو: أثّر فيه، والصَّدْق: الصّلب، والسَّمَيدَع: الجميل الشجاع المديد القامة، والكَهام: الكليل، والبَزّ: السلاح. وفي قوله: (إذا هو لاقى حاسرًا أو مقنّعا) يحسُن إعراب (حاسرًا أو مقنّعا) حالين من الضمير المستتر في (لاقى)، لأنه أقوى للمعنى وأمتن، لا أن يُعربا مفعولين للفعل على ما رآه بعضهم. وعليه يصبح المعنى: إذا هو لاقى عدوّه سواءٌ أكان هو حاسرًا أو مقنّعا، فشجاعته وإقدامه في الحالين واحدة.

(٤) شاح بفيه: أي فاتح له، والكرْع: تناول الماء بالفم.

(٥) الذُّعاف المسلّع: السمّ السريع القتل الشديد الفتك.

(٦) ويشهد لتحازُن الفرزدق وتكلّفه الرثاءَ الخبرُ الذي أورده المبرّد، وفيه: أن الحجّاج جلس «للمعزّين، ووضع بين يديه مرآة، وولّى الناس ظهره، وقعد في مجلسه، فكان ينظر إلى ما يصنعون، فدخل الفرزدق، فلما نظر إلى فعل الحجّاج تبسّم، فلما رأى الحجّاج ذلك منه قال: أتضحكُ وقد هلك المحمّدان؟ فأنشأ يقول...» ثم أورد بعض أبيات القصيدة. كتاب **التعازي والمراثي**، ٢٠١.

(٧) البَرَم: من لا يدخل مع الناس في الميسر، لفقره، والقَشْع: بيت من جلد.

(٨) أذرت: ألقت، والكنيف: حظيرة من شجر تتخذ للإبل.

(٩) العاني: الأسير، وثوى: أقام، والقِدّ: القيد، وتكنّع: تقبّض.

(١٠) **شرح المفضليات**، ٢/ ٩٥٤.

(١١) ينظر: **الصورة الاستدارية في الشعر العربي**، خليل أبو ذياب، دار عمار، عمّان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٤٨-٤٩. والفضل في سكّ هذا المصطلح لمؤلف هذا الكتاب.

(١٢) ينظر: المرجع السابق، ٢٢.

(١٣) المرجع السابق، ٤١.

(١٤) **الشعراء الشاميون**، خليل مردم، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ص٢٩٩.

(١٥) ينظر: المرجع السابق، نفسه.

(١٦) **طبقات الشعراء**، ٢٧٦-٢٧٧.

(١٧) المرجع السابق، ٢٧٧.

(١٨) **جمالية الموت**، ٤٣٨.

(١٩) ينظر: **البلاغة والأصول**، ١٦٤-١٦٥.

(٢٠) ينظر: **اللغة الشعر في ديوان أبي تمام**، ٧٤-٧٥.

(٢١) **البلاغة والأصول**، ٢٢٤.

(٢٢) الرَّفْد: القِدْر.

(٢٣) أذْرت: ألقتْ، والكَنيف: الحظيرة التي تتخذ للإبل، والمُرَفّع: المرفوع.

(٢٤) **شرح المفضليات**، ٩٥٣/٢.

(٢٥) المصدر السابق، ٩٥٤/٢.

(٢٦) انفرد كتاب **التهاني والتعازي**، ١٦٢ بهذا البيت.

(٢٧) ينظر: **الشعراء الشاميون**، ٢٨٩، ٢٩٩.

(٢٨) **ديوان المعاني**، ٩٦٦/٢.

(٢٩) المرجع السابق، ٩٦٧/٢.

(٣٠) ينظر: **المثل السائر**، ١٥٣/٢.

(٣١) ينظر: **دلائل الإعجاز**، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، ط الثالثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣٠٧-٣٠٩.

(٣٢) **ديوان طرفة بن العبد**، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقّال، إدارة الثقافة والفنون، البحرين، والمؤسسة العربية، بيروت، ط الثانية، ٢٠٠٠م، ص٤٩.

(٣٣) ينظر: **كتاب القوافي**، أبو يعلى التنوخي، تحقيق: عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان، دار الإرشاد، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، ص٦٧-٦٨، وفيه أن ترك التصريع والتقفية يسمّى تخميعًا. وينظر: **العمدة**، ١٧٦/١.

(٣٤) **العمدة**، ١٧٦/١.

(٣٥) **الشعراء الشاميون**، ٢٨٩.

(٣٦) **كتاب القوافي**، ٦٩.

(٣٧) راجع ما نقله يوسف بكار عن الزحافات المستكرهة في: بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٧١-١٧٣.

(٣٨) ينظر: **العمدة**، ٢٠٩/١.

(٣٩) وبتتبع قصائد كثيرة على الطويل في عصور عدّة، لم أجد الخرم إلا عند المتقدمين، وقلّة من المولَّدين، ويمكن عدّه من المظاهر الموسيقية التي آلت إلى الزوال.

(٤٠) ينظر: **مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي**، جابر عصفور، دار التنوير، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٣م، ص ٢٦٥. وينظر فيه ما يلي هذه الصفحة، ففيه نقاش علمي جيّد لهذه المسألة.

(٤١) ويكفي للاستشهاد على هذا أن تستعرض مطوّلته، ففيها على سبيل المثال: (فجئتُ وقد نضَتْ لنوم ثيابَها)، فوزنه: (فجئتُ: فعولُ، وقد نَضَتْ: مفاعلن...)، وتوالي القبض في هاتين التفعيلتين ثقيلٌ.

(٤٢) ينظر: **الجملة في الشعر العربي**، محمد حماسة عبداللطيف، دار غريب، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٦م، ص٩٨.

(٤٣) أوضَع: أسرع.

(٤٤) سورة التوبة، ٤٧.

(٤٥) **العمدة**، ٢٠٩/١.

(٤٦) ينظر: **البلاغة والأسلوبية**، ٥٢.

(٤٧) ينظر: **الجملة في الشعر العربي**، ١٠١.

(٤٨) ينظر: **العمدة**، ١٤٨/٢.

(٤٩) **العمدة**، ١٤٩/٢. وينظر: **ديوان المعاني**، ٩٦٣/٢.

(٥٠) ينظر: **العمدة**، ١٥١/٢. واستُثني من ذلك دالية دُرَيد بن الصمّة في رثاء أخيه، إذ ابتدأ فيها بالنسيب.

(٥١) ينظر: **منهاج البلغاء**، ٣٥١، و: **البلاغة والأصول**، ٢١٧.

(٥٢) ينظر: **منهاج البلغاء**، ٢١٠.

(٥٣) أشار الدكتور حسين الواد إلى بعضهم. ينظر: **نظر في الشعر القديم**، حسين الواد، كرسي الدكتور عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، الرياض، ط الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٨٠.

(٥٤) المرجع السابق، ٨٥.

(٥٥) ينظر: المرجع السابق، ٩٢-٩٣.

(٥٦) راجع كلام قُدامة عن الفرق بين الرثاء والمدح في: **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٠٠، وينظر: **العمدة**، ١٤٧/٢.

(٥٧) راجـع: **وحـدة القصـيدة في الشـعر العربي حتى نهاية العصـر العباسـي**، حياة جاسـم محمد، دار العلـوم، الرياض، ط الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، صـ٢١٦-٢٣١. ففيه عرض لآراء عدة في هذه القضية.

(٥٨) ينظر: **وحدة القصيدة في الشعر العربي**، ٢٣٣.

(٥٩) ينظر: المرجع السابق، ٣٧٧.

شعر

أبي اليُمْن ابن عساكر المكيّ (٦١٤ - ٦٨٦هـ)

جمع وشرح وتقديم

(٣)

د. عبد الرازق حويزي

[قافية السين]

(١٤)

وقال: [من الطويل]

١- منَازلُ إطرابي ومرتبعُ الأُنسِ ... سَقَاها الحيا بينَ المقَطَّم والمقْسِ

٢- وَحَيَّا وإن شَطَّتْ ديارُ أَحبَّتي ... إليها على الأَشْوَاقِ أُصْبحُ أَوْ أُمْسِي

٣- مَطالعُ أقمارٍ مجرَّةُ أَنْجُمٍ ... مهبُّ صَبًا مربى مَهًا فلكُ الشَّمْسِ

٤- منازلُ فيها كُلُّ مَلْهَى وَمُشْتَهَى ... وَمَهْوَى ومحبوبٍ إلى العَيْنِ والنَّفْسِ

٥- مَرَاتعُ غِزْلانٍ ربوعُ أَحبَّةٍ ... ملاعبُ أَتْرَابٍ مجالبُ للأُنْسِ

٦- محطُّ صَبَابَاتٍ وَمَنْشَأُ صَبْوَةٍ ... ومنزعُ أَشْوَاقٍ إلى حَضْرَةِ القُدْسِ

٧- غَنيتُ بها عَن كُلِّ مَغْنى يَشُوقُني ... فَأُنْسي بها عَن غَيْرِها أَبَدًا يُنْسي

٨- تَغَنَّتْ بها الأَطْيارُ لا لحنُ مَعْبدٍ ... ولا نَغَمُ العِيدانِ بالنَّقْرِ والجَسِّ

٩- وأطلق فيها الماءُ وهو مُسَلْسَلٌ فَمُطَّردٌ صَحَّتْ مَبانيه بالعَكْسِ
١٠- وفاءَ إليها الفَيءُ فاعجبْ لآنسٍ مِنَ الوَحْشِ أَوْ وَحْشيةٍ مِن مَها الإنسِ
١١- أَحِنُّ إليها بالأَصائلِ والضُّحَى ومِن حُبِّها قَدْ مَسَّني شَبَهُ المَسِّ
١٢- ولو بجُفُونِ العَينِ صافَحَتْ تُرْبَهَا أبلَّ به المشتاقُ مِن ألمِ النّكْسِ

الشَّرح:

(١) المقَطَّم: الجبل المشرف على القرافة، مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة على شاطئ النيل الشرقي حتى يكون منقطعه طرف القاهرة، ويُسَمَّى في كلّ موضعٍ باسم، وعليه مساجد وصوامع للنَّصارى، والمقس: بين يدي القاهرة على النيل. معجم البلدان ٥/١٧٥ – ١٧٦.

(٣) المهاةُ: البَقَرَةُ الوَحْشِيَّةُ لبَياضِها. تاج العروس ٣٩/٥٧٧.

(٨) مَعْبَد هو: معبد بن وهب المُغَنِّي (ت ١٢٦هـ)، أبو عباد المدني، نابغة الغناء العربيّ في العصر الأموي. الأعلام ٧/٢٦٤، الجس: المس باليد. تاج العروس ١٥/٤٩٩.

(١٠) الفَيءُ: ما بَعْدَ الزَّوَال من الظِّلِّ. تاج العروس ١/٣٥٤.

(١٢) أبلَّ: بَلَّ الرجُلُ مِن مَرضِه: إذا بَرأ، والنّكْس: الضعف. تاج العروس ٢٨/١٠٧، ١٦/٥٧٩.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/١٦٨.

[قافية العين]

(١٥)

وقال لبعض أودَّائه، كان من عادته أن يزوره كل شهر فأبطأ عليه: [من الطويل]

١- إذا كُنتَ لم تَطْلُع هِلالاً لشهرنا ... فكنْ بـدْرَه البَـادي لعَشـرٍ وَأَرْبَـعِ
٢- أَطلتَ ثَـوَاءً في خَميلة رَوْضَـةٍ ... وذاكَ لمَثْوَى الغُصْنِ أَنْسَبُ مَوْضِعِ
٣- وَخَلَّفْتَني بَيْنَ الطُّلُولِ مُناشدًا ... لمنْ لَيْسَ يُشْكي إن شَكوتُ ولا يعي
٤- أروحُ بقلبٍ للفِرَاقِ مُـرَوَّعٍ ... وأغـدُو بـدَمْـعٍ في الـدِّيَـارِ مُـوَزَّعِ
٥- وقدْ فَاتَني رُؤْيَا حِمَاكَ بِنَاظِرِي ... فَصِفْهُ لَعَلِّي أَنْ أَرَاهُ بِمَسْمعِي

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في العِقْد الثَّمين برواية: «بعشر».

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٥/٥، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٧/٥-٤٣٨.

[قافية القاف]

(١٦)

وقال: [من السريع]

١- بمُلتقَى الرُّكنين قَلْبي لَقى ... كَمْ لي ومَنْ أَهْوَى بهَا مُلْتَقَى
٢- لجِيرةِ الحَيِّ على أَنْ أَفي ... عقدتُ مَا بينَهُمَا المَوْثِقَا
٣- ولي عَلى سَفْحِ الصَّفَا جِيرَةٌ ... قَلْبي إليهمْ لمْ يَزَلْ شَيِّقَا
٤- إخوانُ صِدْقٍ أَخْلَصُوا وُدَّهُم ... غُصنُ التَّصَافي بَيْنَهُمْ أَوْرَقَا
٥- حلُّوا الصَّفَا مَغْنًى وَحُلُّوا الصَّفَا ... معنًى ونَقْوًا فَثَوَوا بالنَّقَا
٦- عَهْدي بهم مُذ نَفَرُوا من منًى ... عَسَى بجَمْعٍ جَمْعُ مَن فُرِّقَا
٧- فَسَائلِ الأَحْيَاءَ عَن حَيِّهم ... أَنْجَدَ أَمْ أَشْأَمَ أَمْ أَعْرَقَا؟
٨- تَعَرَّفَتْ مِنْ قَبل تَعْريفنا ... أرواحُنا فَاشتاقَت المُلْتَقَى
٩- أشتاقُهم حُبًّا وَقَدْ أَصْبَحُوا ... منَّا إلينا في الهوى أَشْوَقَا
١٠- فَقَبِّلِ الرُّكْنَ إذَا جِئْتَهُ ... عَنِّي وَجَدِّدْ مَوْثِقًا مُوثَقَا

١١- صافِحْه كَي يُصْفَحَ عَن سَيِّئٍ جَنَيْتَه تَجْنِ الجَنَى المُونِقَا
١٢- مَعاهِدٌ عَهْدي قَديمٌ بها لا مِصْرَهُم أَهْوَى ولا جِلَّقَا
١٣- فاصبُ بها لإيراقِ اللِّوَى وبَرْقَها شِمْ وَدَعِ الأَبْرَقَا
١٤- يَا مَوقفًا من بطنِ نَعمانَ هَل من مَوْقِفٍ فيكَ لمن وُفِّقَا؟
١٥- لِيَلْتَقِي مَن حَيُّه مُنْجِدٌ بمُتْهِمٍ بَعْدَ لقاءٍ لَقَى

الرِّوَاية:

(١) ورد صدر البيت الأول في العِقْد الثَّمين هكذا: «قلبي لقاكم».

(٤) وورد عجز البيت الرَّابع في العِقْد الثَّمين هكذا: «غصن التصافي بينهم قد أورقا»، وزيادة «قد» كسرت البيت.

(٥) وورد البيت الخامس في ملء العيبة برواية: «وَحلوا الصَّفَا».

(٨) وورد البيت الثَّامن في العِقْد الثَّمين برواية: «تعرفت من بعد تفريقنا».

(١٣) وورد البيت الثَّالث عشر في ملء العيبة هكذا: «فاصبُ بها لإيراقِ اللِّوَى»، ووردَ في العقد الثمين برواية: «فاصبُ بها لا لبرق اللوى»، وأخذت برواية هامشه عن إحدى نسخه المخطوطة.

الشَّرح:

(٥) نقْوًا: نظافة وطهارة. تاج العروس ١٢٢/٤٠.

(١٢) جِلَّق: «اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل: بل هي دمشق نفسها، وقيل: جلق موضع بقرية من قرى دمشق». معجم البلدان ١٥٤/٢.

(١٣) شِمْ: انظرْ. تاج العروس ٤٨٥/٣٢، الأَبْرَق: جبل مخلوط برمل معجم البلدان ٦٥/١.

(١٤) بطن نعمانَ: موضع بين مكة والطائف. معجم البلدان ٤٠٩/٥.

(١٥) منجد: أي مَن حيُّه بنَجد، مُتْهم: أي مَنْ حَيّه بتهامة.

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٧/٥ – ١٦٨، والأبيات ١-٩ ما عدا البيت الثَّاني، ١٢، ١٣ في العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٦/٥-٤٣٧.

(١٧)

وقال وقد دعاه الوزير «ابن حِنَّا»(*) للتدريس: [من البسيط]

١- يا مَن دَعَاني إلى أبوابِه كَرَمًا ... إنِّي إلى بَابِ بيتِ الله أَدْعُوكَا

٢- ومَن حَدَاني إلى تَدريسِ مَدْرَسَةٍ ... إنِّي إلى السَّعْي والتَّطْوَافِ أَحْدُوكَا

٣- أَبيتُ لله جَارًا لا أَلُوذُ بما ... شَيءٌ سِوَاه وهذا القَدْرُ يَكْفِيكَا

٤- وأَنْثَني طَائفًا من حَوْلِ كَعْبَتِه ... أَرَى مُلُوكَ الدُّنَا عِنْدِي مَمَالِيكَا

(*) الوزير ابن حِنَّا هو: «الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا علي بن محمد بن سليم، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنَّا المصري، أحد رجال الدهر حزمًا وعزمًا ورأيًا ودهاءً وخبرةً وتصرُّفًا. استوزره الظاهر، وفوض إليه الأمور... ووزَر بعد الظاهر لابنه سعيد، وزادت رتبته. وله مدرسة وبِرٌّ وأوقاف. ابتُلي بفقد ولديه فخر الدين ومحيي الدين، فصبر وتجلَّد. وعاش أربعًا وسبعين سنة، وتوفي سنة سبع وسبعين وست مائة، وشيَّع الخلق جنازته». الوافي بالوَفَيَات ٣٠/٢٢.

التَّخريج:

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ١٥٢/٤.

(١٨)

وقال: [من الطويل]

١- بأستارِ بيتِ الله قُمْ مُتَمَسِّكا ... وبالله عُذْ من نارِه أنْ تَمَسَّكَا

٢- ولا تَعْتَصِمْ إلاَّ بحبْلِ اعتصامه ... فَلا بسوى توفيقِه لا تُمَسِّكَا

٣- وَلُذْ بحِماهُ فاستَلِم ثَمَّ فالتَزِم ... وَعَظِّم على التَّقْوَى شَعائِرَ رَبِّكَا

٤- وَجَـدِّدْ عُهُودًا في مَعاهِدِها الَّتي ... إلى مَن بها بَـرْحُ اشتياقِكَ شَفَّكَا
٥- مَعاهِدُ لـلأرواحِ فيها مَعارِفٌ ... غَـذاكَ هَـواهَـا إذ سَـقاكَ فَعَلَّكَا
٦- فمن حُبِّها وَافيتَ أشعثَ أغبرا ... تلبّي لـرَبّ بـاللَّـطائف رَبَّـكَا
٧- عَليكَ شعارَ الحُبِّ تَزْهَى ببَذْلَةٍ ... تبـذَّلْـتَـهـا لله مـن زَهْـو مُـلْـكِكَا
٨- فجدَّدتَ رسْمَ الوَصْلِ بَعدَ دُروسِهِ ... وَطُفْتَ كمَا طافَ المحبُّونَ قَبْلَكَا
٩- فقرَّة عينٍ منك كمْ سخنَتْ شَجىً ... بمُـنْـيَـة قُـرْبٍ نلْـتَـه بَـعْـدَ بُـعْـدِكَا
١٠- ويا برد حَرّ الشَّوقِ منْكَ بوَقْفَةٍ ... بملـتـزَم تـنـهـي وتـشـرحُ مـا بِكَا
١١- فصافحْ يمينَ الله ذكرى لعبده ... وقـلْ: آبـقٌ وافَـى وفَـاءً بعَـهْـدِكَا
١٢-وقضِّ بما بينَ الحَجونِ إلى الصَّفا ... شجونَ هوى من أجلها طالَ شَجْوُكَا
١٣- نعمتَ بنعمانٍ فظلَّ أراكُـهـا ... مقيلَك طُوبى ثمَّ طُوبى ليَهْنِكَا
١٤- فبُشراكَ منْها موقف عَزَّ موقفًا ... تـنـالُ بـه الـزُّلـفـى ويُـغْـفَـرُ ذَنْـبُـكَا
١٥- يُبَاهي بِكَ اللهُ الملائكَةَ العُلَى ... ظَفِرْتَ لَعَمْري ثمَّ قَدْ جَدّ جدُّكَا
١٦-وعرّفت تعريفَ الأُلى عَرفُوا الهوَى ... وَمَا أنكرُوا من بعد ذَاكَ فَمَنْ لَكَا
١٧- بشطيْ أَلال ثم في سَفْحِ نابتٍ ... تـراوحُ كي يـرتـاحَ في الحبِّ قلبُكَا
١٨- ومن عجبٍ أنَّ الأعاجيبَ جمَّةٌ ... طلُوعٌ لسعدٍ في أُفُـولِ لشَمْسِكَا
١٩- فلمَّا قَضَى منها هواكَ شُجونَه ... دفعتَ إلـى جَـمْـعٍ بطائرِ يُـمْـنِكَا
٢٠-أفضتَ وقد فاضتْ عليكَ إلى منًى ... مَـواهـبُ أسـرارٍ بـهـا بُـرَّ حَـجُّـكَا
٢١- فوفّيتَ نذرًا ثم قضَّيت للمُنى ... بها تَفَثًا من رَمـيِ جَمْرٍ وَحَلْقِكَا
٢٢- فإنْ لم تكنْ أهلاً لذا حقَّ أَهْلِه ... فقلْ: رَبِّ أَهِّلْـنـي لـذاكَ بِفَضْلِكَا
٢٣- وقفتَ لتَوديعٍ وقوفَ شَجٍ جوٍ ... تـودّعُـهَـا حـزنًـا وتـسـألُ عَـوْدَكَـا
٢٤- وهل يرحمُ البينُ المجدُّ أخًا أَسًى ... شَكا فُرْقَةَ الأَحْبابِ أو مُوجَعًا بَكَى؟
٢٥- ولكنَّ سفْحَ الدَّمْعِ يَشْفي صَبابَةً ... لذي لَوْعَةٍ فَاسْفَحْ لنَأْيِكَ دَمْعَكَا
٢٦- تـزَوَّدْ فَقَدْ أعْجلتَ منْهَا بنَظْرَةٍ ... عَسَى عودةٌ من قبل ترحلُ عيسَكَا
٢٧- فما في الدُّنا وقتٌ كَوَقْتِكَ في مِنى ... ولا مِثْلُ نَعْمانِ الأَراكِ بِأَرْضِكَا

الشَّرح:

(١١) الآبقُ: الآثم. تاج العروس ٦/٢٥.

(١٧) أَلالَ: اسم جبل بعرفات. معجم البلدان ٢٤٢/١، وينظر البيت رقم (٢٣) من القصيدة رقم (٢).

التَّخريج:

ملء العيبة: ٢١١/٥- ٢١٢.

[قافية اللام]

(١٩)

وقال وقد بعث إليه أحد أصحابه فتى اسمه محمَّد يستدعي منه الختمة، فوجَّهها إليه وكتب معه: [من الكامل]

مَوْلايَ إنَّ مُحَمَّدًا وافَى إلى ... عَلْياكَ بالذِّكْر الحَكيم رَسُولا
عَلِقَتْ بِهِ رُوحُ الأَمِينِ صَبَابَةً ... فَعَلَيه نُزِّلَ حُبُّه تَنْزِيلا

الشرح:

الأمين: هو لقب الشاعر نفسه.

التَّخريج:

ملء العيبة ٣٧٤/٥، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٩/٥.

(٢٠)

وقال: [من الوافر]

١- ألا إنّ الصَّلاةَ على الرَّسول ... شفاءٌ للقلوب من الغَليل
٢- فصَلِّ عليه إنَّ الله صلّى ... عليه ولا تكونَنْ بالبخيلِ
٣- وصلِّ عليه قد صلّتْ عليه ... ملائكةُ السَّماء بجبْرئيل
٤- ألا إنّ الصَّلاةَ عليه نُورٌ ... لدَى الظُّلمات في اليوم المَهُولِ
٥- وتثقيلٌ لميزانٍ خَفيفٍ ... وتخفيفٌ من الوِزْرِ الثَّقيلِ

٦- إذا صَلّيتَ صَلّى الله عَشْرًا بواحدةٍ عَليكَ على الرَّسُولِ
٧- وتحظَى بالشَّفَاعَةِ يَوْمَ تُجْفَى ومَا لَكَ مِن مُقيلٍ أو مُنيلِ
٨- فأكثرْ أو أقلَّ فأنتَ تُجْزَى بذلكَ مِن كَثيرٍ أو قَليلِ
٩- فَصَلِّ عليه تُجْزَ جَزاءَ ضِعْفٍ وتُجْزَ مُضاعفَ الأجرِ الجزيلِ
١٠- وأولى النَّاسِ أكثرُهمْ صَلاةً عليه بِهِ وَأَحْرَى بالقَبُولِ
١١- وأنجاهُمْ مِن الأهْوالِ عبدٌ بها لَهِجٌ بَدَلْ قَالٍ وقيلِ
١٢- فكُن لَهِجًا بذكْرَاه حَفيًّا بلُقياهُ ومنصبِه الجَليلِ
١٣- وصَلِّ صَلاةَ مُشْتَاقٍ إليه وداوِ بذكرِه سقْمَ العَليلِ
١٤- وصَلِّ مَدَى الزَّمَانِ على رَسُولٍ كَريمٍ مُصْطفَى بَرٍّ وَصُولِ
١٥- وصلِّ على حبيبٍ فاقَ فَضْلاً مَدى شأوِ الكليمِ مَعَ الخليلِ
١٦- فصلَّى اللهُ أفضلُ من يصلِّي عليه في الصَّباحِ مع الأصيلِ
١٧- وآتاهُ الوَسيلةَ مستجيبًا وبلَّغهُ نهايةَ كُلِّ سُولِ
١٨- وأَزْلَفَه وَشَفَّعَه ليأْوي إليه النَّاسُ في ظلٍّ ظَليلِ
١٩- وأطّدَ شَرْعَه وحَمَى حِماه وأيَّدَهُ بواضحَةِ الدَّليلِ
٢٠- وشرَّفَه ولم يَبْرَحْ شَريفًا فيجمع جملةَ المجدِ الأثيلِ
٢١- وزادَ مُحبَّهُ شَرَفًا وفَخْرًا بتفضيلٍ وتَنْويلٍ جَزيلِ
٢٢- وزادَ عُلاه منه بطُولِ عُمرٍ قصيٍّ مِن مَواهبِه طَويلِ
٢٣- وأوردَنَا عليه الحوضَ وفْدًا لنُروى بالرِّوَى مِن سَلسبيلِ

الرِّوَاية:

(٧) ورد البيت السَّابع في نَفْح الطِّيب (ط. إحسان عباس) برواية: «يَوْمَ تَضْحَى».

(١١) وردت كلمة (بدل) بتسكين آخرها في هذا البيت في طبعتي نفح الطيب، وقال إحسان عباس في هامش نفح الطيب تعليقًا على تسكين: (بدل): «وفي هذه القصائد تسامح أحيانًا في اللغة والإعراب».

(١٥) وورد البيت الخامس عشر في نَفْح الطِّيب (ط. محيي الدين عبد الحميد) برواية: «حاز فضلاً... شأوِ الكلامِ».

الشرح:

(١٩) أَطَّدَ: ثبَّت. تاج العروس٩/٣٠٢.

التَّخريج:

نَفْح الطِّيب ٧/٥٠٤-٥٠٥ (ط. إحسان عبَّاس)، ١٠/٣٥١-٣٥٢ (ط. محيي الدين عبد الحميد).

(٢١)

وقال حين شاهد مثال نعل الرَّسول صلى الله عليه وسلم: [من الكامل]

١- يا مُنْشِدًا في رَسْمِ رَبعِ خالِ ... ومُنَاشِدًا لِدَوارسِ الأَطْلالِ

٢- دَعْ نَدْبَ آثارٍ وذكرَ مَآثرٍ ... لأحبَّةٍ بَانُوا وَعصْرِ خالِ

٣- والثمْ ثَرى الأَثَرِ الأثيرِ فَحَبَّذَا ... إنْ فُزْتَ منه بلَثْمِ ذَا التِّمْثَالِ

٤- أَثَرٌ له بقُلُوبنَا أَثَرٌ بها ... شُغُل الخليّ بحبِّ ذات الخَالِ

٥- قبِّل. لك الإقبال. نَعْلَي أَخْمُصٍ ... حَلَّ الهلالُ به محَلَّ قبالِ

٦- ألصقْ بها قَلْبًا يقلِّبه الهوى ... وَجَلا على الأَوْصَابِ والأَوْجَالِ

٧- صَافِح بها خَدًّا وَعَفِّرْ وَجْنَةً ... في تُربها وجدًا وفرطَ تغالِ

٨- تَشفيكَ حَرَّ جَوًى ثَوَى بجَوانحٍ ... في الحبِّ ما جَنَحَتْ إلى الإبلالِ

٩- يا شبهَ نعل المصطفى رُوحي الفدا ... لمَحَلِّكَ الأَسْمَى الشَّريف العَالي

١٠- هملتْ لمرآكَ العيونُ وقَدْ نَأَى ... مَرمَى العيَانِ بغيرِ مَا إهمالِ

١١- وتذكَّرَتْ عَهْدَ العَقيقِ فَناثرتْ ... شَوقًا عقيقَ المدمعِ الهَطَّالِ

١٢- وصَبَتْ فَوَاصَلَتِ الحنينَ إلى الذي ... مَا زالَ بَالي منه في بَلْبَالِ

١٣- أَذْكَرْتني قَدَمًا لها قِدَمُ العُلا ... والجودِ والمعْرُوفِ والإفضَالِ

١٤- أَذْكَرْتني مَن لم يزل ذِكري له ... يعتاد في الأبكارِ والآصَالِ

١٥- لو أنَّ خدّي يُحْتَذَى نَعْلاً لهَا ... لَبَلَغتُ من نيل المنى آمَالي

١٦- ولها المفاخرُ والمآثرُ في الدُّنا ... والدِّين في الأقوالِ والأفعَالِ

١٧- أو أنَّ أجفَاني لوطء نعالها ... أَرْضٌ سَمَتْ عزّا بذا الإذْلالِ

الرِّوَاية:

(٥) ورد البيت الخامس في ملء العيبة في صلب القصيدة، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض برواية: «نعل أخمص»، وأخذت برواية أخرى وردت في البيت، حيث روي منفردًا ملء العيبة.

(٦) وورد البيت السَّادِس في ملء العيبة برواية: «وجدًا على الأوصاب».

(٨) وورد البيت الثَّامِن في ملء العيبة برواية: «ستبل حر».

(٩) وورد البيت التَّاسع في ملء العيبة برواية: «نفسي الفدا».

(١٠) وورد البيت العاشر مكررًا في ملء العيبة هكذا: «عملت لمرآك... مَرقى العِيَانِ».

(١٢) وورد البيت الثَّاني عشر في ملء العيبة برواية: «في الحب بالي».

(١٤) وورد البيت الرَّابع عشر في ملء العيبة في صلب القصيدة، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض برواية: «الأبكار والأوصالِ»، وأخذت برواية تكراره في ملء العيبة حيث ذكر البيت بعد القصيدة.

(١٧) وورد البيت السَّابع عشر في ملء العيبة برواية: «لمواطئ نعلها».

الشَّرح:

(٧) التغالي: التجاوز. تاج العروس ٣٩/١٨٠.

(٨) الإبلال: الشفاء من المرض. ففي تاج العروس ٢٨/١٠٧: «بَلَّ الرجُلُ مِن مَرضِه: إذا بَرأ».

(١١) العقيق: ستّة مواضع، وهي أودِيَة شقّتْها السَّيْلُ عاديّةٌ؛ منها: العَقيقَ الذي بالقُرْبِ من ذاتِ عِرْق قبلَها بمَرْحَلة أو مرْحلَتَيْن، وهو ميقات أهل العراق، ولعله المراد هنا. تاج العروس ١٦٨/٢٦.

(١٢) البَلْبَالِ: التشتت بسبب كثرة الهموم. تاج العروس ١١٤/٢٨.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/ ٢١٨ – ٢٢٠ دون البيت الرَّابع عشر، ولكنه روي بعد القصيدة اعتمادًا على إثبات المؤلف لفروق روايتي القصيدة حسبما سمعها ووقف عليها، وبتقديم الخامس على الرَّابع، وتقديم الثَّامن على السابع، وتقديم السَّادس عشر على الخامس عشر. وفيه: وقال في البيت الآخر «لَوْ أن، ولو قَالَ: وَلَوَ ان بنقل الحركة لكان أفصح»، والقصيدة في أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ٢٦٢/٣، والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٢١٥/٢، والمجموعة النبهانية في المدائح النبوية ٣٩٨/٣.

(٢٢)

وقال بمسجد الخَيف بمِنَى: [من الكامل]

١- يا جيرَتي بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... شَوقي إليكُمْ مُجْمَلٌ ومُفَصَّلُ

٢- أهوَى ديَارَكُمُ وَلي بِرُبُوعِهَا ... وَجْدٌ يُثَبِّطُني وَعَهْدٌ أَوَّلُ

٣- ويَزِيدُني فيها العَذُولُ صَبَابَةً ... فَيَظَلُّ يُغْرِيني إذَا مَا يَعْذِلُ

٤- ويقولُ لي: لَو قَدْ تَبَدَّلْتَ الهَوَى ... فَأَقُولُ: قَدْ عَزَّ الغَدَاةَ تَبَدُّلُ

٥- بالله قُلْ لي: كَيفَ تَحْسُنُ سَلْوتي ... عَنْهُم وحُسْن تَصَبُّري هَلْ يَجْمُلُ؟

٦- يا أَهْلَ وُدِّي بالمحَصَّب دَعْوَةً ... مِن نَازِح بلقَاكُمُ يَتَعَلَّلُ

٧- هل في البلاد محلّةٌ مَعروفَةٌ ... مثل المعرَّف أو محَلٌّ يُحْلَلُ؟

٨- أم في الزَّمانِ كَلَيلةِ النَّفْرِ التي ... فيها من الله العوارفِ تُجزَلُ؟

٩- أم مثل أيـام تقضَّت في مِنًى عمر الزَّمان بها أغرُّ مُحَجَّلُ؟
١٠- في جنْبِ مجتمعِ الرِّفاقِ ومنزعِ الـ أشواقِ حيَّاهَا السَّحَابُ المسبلُ

الرِّوَاية:

(٣) وورد البيت الثَّالث في العِقْد الثَّمين ٥/٤٣٤-٤٣٥، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام برواية: «إذَا مَا يَعْدلُ»، وورد في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «العدول... يعدل»، وورد في دُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك برواية: «لمغريني إذا».

(٤) وورد البيت الرَّابع في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «ويقولُ: لَو»، وورد في العِقْد الثَّمين برواية: «عز العزاة».

(٥) وورد البيت الخامس في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «كيف تحس»، وورد في العِقْد الثَّمين ٥/٤٣٤-٤٣٥، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام برواية: «عَنْها وحُسْن». وورد في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «يحْسُنُ سَلْوتي... عنها... يحمل».

(٧) وورد البيت السَّابع في العِقْد الثَّمين ١/٢١٧ برواية: «محل تحللُ».

الشَّرح:

(١) الحَجُون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وقال السُّكري: مكان من البيت على ميل ونصف، وقال السُّهَيليّ: على فرسخ وثلث... وقال الأَصْمَعِيّ: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة. معجم البلدان ٢/٢٢٥.

(٦) المحَصّبُ: موضع فيما بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وهو بطحاء مكة، وهو خَيْف بني كنانة. معجم البلدان ٥/٦٢.

(٧) المعرَّف: موضع الوقوف بعرفة. معجم البلدان ٥/١٥٥.

التَّخريج:

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٢/٢٩٠، والزهور المقتطفة من تاريخ مكة

المشرفة ٣٥١ ما عدا البيت السادس فيهما، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ١/٢١٩-٢١٧، ما عدا البيت السَّادس في هذه المصادر، والأبيات ١-٦ فيه ٥/ ٤٣٤-٤٣٥، وتاريخ الإسلام ١٥/٥٧٢، والأبيات ١-٥ في دُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك ١/٤٣٨، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٧/٢٦٧.

[قافية الميم]

(٢٣)

وقال: [من مجزوء الوافر]

١- أَرِقْتُ لِوَمْضِ مُبْتَسِمِ ... أَضَاءَ لَنَا دُجَى الظُّلَمِ
٢- فَبِتُّ بِهِ سَلِيمَ هَوًى ... لِجِيرانٍ بِذِي سَلَمِ
٣- تَجَشَّمَ كُلَّ شَاسِعَةٍ ... فَحَلَّ حِمَى بَنِي جُشَمِ
٤- فَسَلْ نَارًا عَلَى عَلَمٍ ... بَدَتْ عَنْ جِيرَةِ العَلَمِ
٥- وَرِدْ رَيَّا عَلَى ظَمَإٍ ... رَوِى مَاءً عَلَى إِضَمِ
٦- وَعَفِّرْ فِي الرُّبَا بِقُبَا ... بِخَدِّكَ غَيْرَ مُحْتَشِمِ
٧- وَأَلْصِقْ بِالبَرَى كَلَفًا ... فُؤَادَكَ يَبْرَ مَنْ سَقَمِ
٨- وَسَلْ عَنْ قَلْبِ خَائِفِهِمْ ... بِسَلْعٍ أَوْ بِخَيْفِهِمِ
٩- طَرِيحَ هَوَاهُ بَيْنَهُمَا ... قَتِيلاً إِثْرَ بَيْنِهِمِ
١٠- فَمَا يَمَنٌ لَنَا شَجَنٌ ... وَبَرْقَ الشَّامِ لَمْ أَشَمِ
١١- بِمَكَّةَ لِي قَدِيمُ هَوًى ... عَلِقْتُ بِهِ مِنَ القِدَمِ
١٢- فَأُمِّي نَحْوَهَا أَبَدًا ... عَلَى خَبَبٍ وَفِي أَمَمِ
١٣- لَزِمْتُ الحُبَّ قُمْتُ لَهُ ... مَقَامَ هَوًى بِمُلْتَزَمِ
١٤- وَفِي جَمْعٍ وَخَيْفِ مِنًى ... لَعَمْرُكَ مَجْمَعُ الهِمَمِ
١٥- وَفِي عَرَفَاتٍ قَدْ عُرِفَتْ ... كِرَامُ عُهُودِهَا القُدُمِ
١٦- وَطَيْبَةُ طَابَ مَرْبَعُهَا ... فَعَنْهَا قَطُّ لا تَرِمِ
١٧- إِذَا مَا عَنَّ لِي شَجَنٌ ... فَمِنْ حَرَمٍ إِلَى حَرَمِ
١٨- أَزُورُ أَحِبَّةً كَرُمُوا ... كَلِفْتُ عَلَى النَّوَى بِهِمِ

١٩- وأسْعَى في زِيَارَتِهِمْ بِرَأْسِي لا عَلَى قَدَمِي

الرِّوَاية:

(١٠) ورد البيت العاشر في ملء العيبة برواية: «لمْ يشمِ».

(١٢) وورد البيت الثَّاني عشر في ملء العيبة برواية: «على جُنب»، وورد في العِقْد الثَّمين برواية: «فأمسي نحوها».

الشَّرح:

(٦) قُبا: أي مسجد قباء.

(٧) البَرَى: التراب. تاج العروس ١٦٥/٣٧.

(١٠) أَمِّي: قَصْدِي. الخَبَبُ: الإِسْرَاعُ في المَشْيِ. تاج العروس، ٢٤٣/٣١، ٣٢٩/٢.

(١٦) لا تَرُمِ: لا تطلب سواها. تاج العروس ٢٩١/٣٢.

التَّخريج:

ملء العيبة: ١٦٥/٥-١٦٦، والبيت السَّابع عشر في التحفة اللطيفة ٢٠/٣، والأبيات ١-٤، ١٠-١٢، ١٦-١٩ في العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٧/٥، والبيت ١٧ مكرر فيه ٤٣٤/٥.

(٢٤)

وقال: [من الخفيف]

١- سَائِلُوا بينَ زمزم والحطيمِ عَن فُؤادي المضنى وعَهْدي القديمِ

٢- خَبِّرُوا جيرةَ الأَبَاطحِ أني حِلْفُ وَجْدٍ بهم وشَوقٍ مُقيمِ

٣- مَنْ تَكُنْ دَارَه الشَّآمُ فَطَرْفي لبروقِ الشَّآمِ غيرُ مُشيمِ

٤- واشتياقي أَهْل المحصَّب لا أهْـ ... ـلي عَلى جِلَّقٍ وتِلْكَ الرُّسُومِ
٥- يا رَعَى اللهُ مَن أُلامُ عَلَيهمْ ... وبهم قَدْ غَدَوْتُ غَيرَ مُلِيمِ
٦- نَزَلُوا بالصَّمِيمِ مِنِّي وَلكِنْ ... بَينَ نَعمانَ دَارَهُمْ والجمومِ

الشَّرح:

(١) «الحطيم، بالفتح ثم الكسر: بمكة، قال مالك بن أنس: هو ما بين المقام إلى الباب، وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام، حيث يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك، يتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم وحلف إثمًا عجلت عقوبته، وقال ابن عباس: الحطيم: الجدر بمعنى جدار الكعبة، وقال أبو منصور: حجر مكة يقال له الحطيم مما يلي الميزاب». معجم البلدان ٢/٢٧٣. والميزاب: قناة أو أنبوبة يصرّف بها الماء من سطح بناء أو موضع عالٍ. المعجم الوسيط ١٥، وهو في الكعبة الشريفة مثَّبت أعلى جدارها مقابل حِجر إسماعيل.

(٣) شَامَ البَرْقَ، يَشِيمُه شَيْمًا: إذا نَظَر إليه. تاج العروس ٣٢/٤٨٥.

(٥) الجَموم: هو أرض لبني سُليم، وبها كانت إحدى غزوات النبي صلى الله عليه وسلم. معجم البلدان ٢/١٦٣، والجموم: منطقة بجوار مكة المكرمة على طريق السيل الكبير الذي يربط بين مكة المكرمة والطائف، لا تزال بهذا الاسم إلى الآن، وفي عجز البيت تقديم وتأخير، وأصل الكلام أن الدار بين نعمان والجموم، ولا يزال نعمان بهذا الاسم أيضًا، وهو بين مكة والطائف على طريق الهدا الذي يربط بينهما.

التَّخريج:

عيون التواريخ ٢١/٤٠٨، ومخطوطه الورقة ١١/١٥٤.

(١) وردت كلمة القافية في البيت الأول في مطبوع عيون التواريخ هكذا: (المقِيم)، وهو تحريف، والتصحيح من مخطوطه.

(٢) ووردت الكلمة الأولى من البيت الثاني في مطبوع عيون التواريخ هكذا: (خيروا). والتصحيح من مخطوطه.

(٣) ووردت كلمة القافية في البيت الثالث في مطبوع عيون التواريخ هكذا: (مسيم)، والتصحيح من مخطوطه.

(٦) ووردت كلمة القافية في البيت السادس في مطبوعه ومخطوطه هكذا: (الحموم)، وفيها تصحيف، ولعل الصواب ما تم إثباته.

(٢٥)

وقال: [من الرمل]

١- مَن يكنْ أضحَى بنجدٍ مُغرمًا ... وزَرُود والحِمَى والعَلَم

٢- فَبِبَيت الله أَمْسَى شَجَني ... والهَوَى مكة ذات الحَرَم

٣- إنَّ قَلْبي في نَواحِيهَا لقًى ... وفُؤَادي بينَ تِلكَ الحطَم

٤- فَاسألا عَنِّي إذا مَا جئتُمَا ... بينَ ركنِ البيتِ والملتزَم

٥- تجدَاني عندَها رَهْنَ هَوًى ... وعُهود للتَّصَابي قُدُم

٦- عَائِذًا طَوْرًا وَطَوْرًا لائِذًا ... بِحِمَى مَن حَلَّه لم يُضَم

الشَّرح:

(١) وزَرُود: بركة وقصر وحوض، قالوا: أول الرمال الشيحة، ثم رمل الشقيق وهي خمسة أجبُل: جبلا زرود، وجبل الغر ومربخ، وهو أشدها، وجبل الطريدة، وهو أهونها حتى تبلغ جبال الحجاز. معجم البلدان ١٩٣/٣، والحِمَى: الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه أي يمنعونهم. معجم البلدان ٣٠٧/٢، والعَلَم: الجبل الطويل. تاج العروس ١٣٢/٣٣.

(٣) اللَّقَـى: المُلْقَـى، وهو ما طُـرِحَ وتُـرِكَ لهَوَانه. تـاج العروس ٤٧٥/٣٩، والحطم: الجموع المزدحمة. تاج العروس ٥٠٨/٣١.

(٤) الملتزَمُ: يطلق على ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة الشريفة. المصباح المنير ٣٥٣/٢.

التَّخريج:

دُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك ٤٣٨/١.

(٢٦)

وقال يحث أهل مصـر على الجهاد ضـد الفرنسـيس عـام (٦٤٧هـ): [من الكامل]

١- جللٌ أصابكَ والخطوبُ جسامُ ... فالقلبُ دامٍ والدُّموعُ سِجامُ

٢- ومصيبةٌ عَظُمَتْ وخَطبٌ فَادحٌ ... ذهلتْ له الألبابُ والأفهامُ

٣- أضحَى به الإسلامُ منفصمَ العُرى ... يُجْنَى عليه برغْمهَا ويُضامُ

٤- وشَكَتْ شَريعةُ أحمد لمُديلها ... جَوْر الأُلى إذلالَها قَدْ سَامُوا

٥- كسفتْ له الشَّمْسُ المنيرةُ واغتَدَى ... وجهُ الصَّبَاح وَقدْ عَلاه ظَلامُ

٦- لبستْ له الأيـامُ ثـوبَ كآبَـةٍ ... فَلحُزْنها حَتَّى المَمَاتِ دَوامُ

٧- ذهبتْ بشاشةُ كلّ عيشٍ ناضرٍ ... فعَلَى التَّهَاني والسُّرور سَلامُ

٨- فَالرَّوضُ لا نضرٌ ولا خَضِلُ الرُّبا ... مَا مَاسَ فيه للغُصونِ قَوَامُ

٩- لم يسر فيه لنا النَّسيم مُعَطَّرًا ... والدَّوح مَا غَنَّى عَليه حَمامُ

١٠- وتَعَطَّلَت سبلُ اللِّسانِ فلا هَوَى ... مستعذبٌ فيه جَوى وغرامُ

١١- هَجَرَ الحبيبُ فلا وِصالٌ يُرتجى ... منه ونَقْضُ وداده إبرامُ

١٢- وتقطَّعت ذمم المودَّة وانقضَى ... زمَنُ السُّرور كأنَّه أحلامُ

١٣- وغدا الزَّمانُ كمَا تَراه وثغرُه ... لا ضاحكٌ فرحًا ولا بسَّامُ

١٤- يا ناصرِي الدينَ الحنيفَ أهكذا ... عنكم يجازى دينُنا الإسلامُ؟

١٥- أسْلَمْتُمُوه إلى الصَّغَار وأُبتُم ... والعارُ مقترنٌ بكم والذَّامُ
١٦- خارتْ عزائمُكم وَشُتِّتَ جمعُكم ... وتقطَّعت مَا بينكم أرحامُ
١٧- أين الحروبُ المُتَّقَى سَطَواتُها ... منكم؟ وأين الكرُّ والإقدامُ؟
١٨- أينَ الصَّواهلُ ضُمَّرًا؟ أين البوا ... سِلُ زُؤَّرًا والفَارسُ المقدَامُ؟
١٩- أين الصَّوارمُ شُرَّعًا؟ أين الذوا ... بلُ رُعَّفًا؟ أين الفتى الهمّامُ؟
٢٠- أينَ الذي قد بَاعَ مُهْجَةَ نفسه ... للّه؟ فهو عَلَى الرَّدَى حوّامُ؟
٢١-أين الكريم الخيم؟ أين أخوا الوَغَى؟ ... أين الذينَ عن العدَى مَا حَامُوا؟
٢٢- لا تَضعُفُوا جُبنًا ولا تتهيَّبُوا ... مَن شأنُهُ الإذلالُ والإرغامُ
٢٣- لَكُمُ الكرامةُ والمهابةُ والحجَا ... والأَيدُ والآراءُ والأَحْلامُ
٢٤- لَكُمُ المثوبة والجزاء المرتَضَى ... وعليهم الآصَارُ والآثَامُ
٢٥- أنتُمْ برضْوان الإله وقربه ... منهم أحقّ وفيكم الأعلامُ
٢٦- كمْ فيكمُ من باسلٍ فتكاتُه ... يحنُو لدَيها الصَّارمُ الضَّمضَامُ
٢٧- ومدجّج يومَ الكريهة ما اجتَلَى ... إلاَّ وَقَدْ نثرت عليه الهَامُ
٢٨- خوّاضُ غمرة كلِّ مَوْت كافلٌ ... دينَ الإله بنَصره قوّامُ
٢٩- يُردي الفَوارس معلمًا لا ناكصًا ... يومَ الهياجَ إذا الحروبُ تُقَامُ
٣٠- ويشنّ في الأعداء غارةَ بَأسه ... فَلنَار عَزْمَته يشبّ ضرَامُ
٣١- ومدَرَّعين إذا الرَّدَى يومَ الوَغَى ... شيمتْ بوارقُه وَحُمّ حمَامُ
٣٢-لبسُوا القلوبَ على الدُّروع وَجَرَّدُوا الـ ... عَزَمات فهي لهم لَعَمْرُك لامُ
٣٣- بذَلُوا نفوسَهم لنُصرة دينهم ... فلهُم عليه حرمةٌ وذمَامُ
٣٤- رامُوا النَّعيمَ السَّرْمَديَّ فأبعدوا ... في نَيله مَرمًى وعَزَّ مرَامُ
٣٥- جَنحُوا إلى العلياء فاهتَجَروا المنى ... فَعَلَى جفُونهم المنامُ حَرَامُ
٣٦- قَد أعربُوا لغةَ الرَّدَى في لحْنهم ... فَلَهم بأَلْسنَة الرِّماح كَلامُ
٣٧- أفْعَالهم تُبْنى عَلَى حَرَكَاتها: ... كسْرُ العدَى والحذْفُ والإدغَامُ
٣٨- إخوانُ صدْق: منهمُ من قد قَضَى ... نحبًا وَمنْهم مَن لَه يستَامُ
٣٩- باعُوا النُّفُوسَ فَحَبَّذَا مِنْ مُشْتَرٍ ... رَبٌّ لَديه البِرُّ والإنعَامُ

٤٠- فعلَى نفوسِهم الزكيةِ رحمَةٌ ... مِن ربهم وتحيةٌ وسَلامُ

٤١- وعلى وجوههم البهيَّة نضرةُ الـ ... إجلالِ مَوصولٌ بها الإكرَامُ

٤٢- جنَّاتُ عدْن فُتّحَتْ أبوابُها ... لهمُ ومَثْوَى حُظوة ومقَامُ

٤٣- أرواحُهم تَحيا وَتُخبر بالمُنى ... وكأَنَّما لم تَألم الأَجسَامُ

٤٤- وسُقُوا شَرابًا من رحيقٍ سلْسلٍ ... عذبٍ له المسكُ السَّحيقُ ختَامُ

٤٥- يَسْتَبْشِرُونَ بِنعْمَةٍ وكَرَامَةٍ ... من ربهِّم هَذا النَّعيمُ التَّامُ

٤٦- حضَروا حظيرةَ قُدْسه فتنعَّمُوا ... بجواره فهُم لديه كرَامُ

٤٧- هذي المعَالي هل لها من طالبٍ؟ ... هَا أنتُمُ عنْهَا الغَدَاةَ نيَامُ

٤٨- هذي السَّعادةُ قدْ أطلَّ سَحَابُها ... بدَت الطُّلولُ ولاحَت الأعْلامُ

٤٩- هذي جِنانُ الخلد تحتَ سيوفكم ... وبها إليكمْ لَوعةٌ وهُيَامُ

٥٠- تُجلى عليكم حورُها وقصورُها ... ويشوقُها شعَثٌ بكم وكلامُ

٥١- وتنفَّستْ أنفاسُها مِسْكيَّة النـ ... ـنفحات لا ضالُ الحمى وخُزَامُ

٥٢- ربحتْ تجارتُكم ألا فاستَبْشرُوا ... هاتيكَ سُوقُ المكرُمَات تُقَامُ

٥٣- يا أخوةَ الإسلام كيفَ قعَدتمُ ... عن نصْرِه وأرَى العدَى قدْ قَامُوا؟

٥٤- ورقدتمُ عنه وعينُ عَدُوِّه ... بالبغْي والظُّفران ليسَ تنامُ

٥٥- عدمتْ نفوسُكم الأبيَّةُ نخوةَ الـ ... إيمانِ فَهي لذاكَ ليس تُلامُ

٥٦- أمْ هلْ ترى رَضيَتْ بذلّة دينها ... فلَها المذَلَّةُ منه والإجْرَامُ؟

٥٧- أمستْ مساجدُكُم كنائسَ لا يُرى ... فيهَا لكم عندَ الصَّلاة زحَامُ

٥٨- لا يُسمعُ التَّأذينُ في عَرَصَاتها ... خَوفَ العدَاة ولا الصَّلاةُ تقَامُ

٥٩-رُفِعَ الصَّليبُ على المنابرِ وانبَرَى الـ ... ـناقُوسُ فيه بشرْكهم إعْلامُ

٦٠- وَغَدا منارُ الحقّ منهدمَ البُنا ... فالحرمُ حلٌّ والحلالُ حَرَامُ

٦١- درستْ رسومُ العلم فهي مَحيلةٌ ... وتبَدَّلَتْ من بَعْده الأَحْكَامُ

٦٢- وتحكَّمَتْ فرَقُ الضَّلالة في الهدى ... فَتَصيَّدَتْ آسادَهُ الآرَامُ

٦٣- فالبيتُ والأَركانُ يندبُ ركنه الـ ... ـواهي القوى والحجُّ والإحرَامُ

٦٤- والحجرُ والمسعَى ومروةُ والصَّفَا والأبطحانِ وزمزمٌ ومقَامُ

٦٥- ما طلَّ نَعمانُ الأراكِ ولا سَقَى من بعده وادي العَقيقِ غَمَامُ

٦٦- وتَغيَّرَتْ صفةُ الزَّمَانِ لأجْلِه وتَنَكَّرَتْ من بعْده الأيَّامُ

٦٧- فالشَّمْسُ تَبْدُو وهي غير مُنيرَةٍ حُزْنًا وما زَانَ الهلالَ تمَامُ

٦٨- ونَبيُّها الهادي بطَيبةَ قد شَكَا بَثَّ الجَوَى فَجَوَاه ليسَ يُرَامُ

٦٩- نُسِخَتْ شرائعُه وبُدِّل دينُه وانحلَّ من سِلك الزَّمانِ نظَامُ

٧٠- يا عُصْبةَ التَّوحيد كَيفَ تحكَّم الـ ـثالوثُ فيكم والعُلَى أقسَامُ؟

٧١- وعلا عَلى الحقِّ اليقينِ لديننَا مَن دينُه البهتَانُ والإيهَامُ

٧٢- ميلُوا عليه واستَعينُوا واصبرُوا لا تُدْبِرُوا وَلْتَثْبُتِ الأقْدَامُ

٧٣- وتَرَقَّبُوا النَّصرَ العَزيزَ وَأَوْبَةَ الـ ـفَرَجِ القريبَ فربُّنَا عَلاَّمُ

٧٤- لا بدّ من يَوم يشيبُ لهوْله فَوْدُ الوَليد ويَفْشَلُ الضِّرْغَامُ

٧٥- لا تمتَرُوا في هُلْك قَوْمٍ كَذَّبُوا فَلَسَوْفَ يَا قَوْمي يَكُونُ لِزَامُ

٧٦- يا مُدَّعي دينَ المسيح وإنَّه ليَطُول منه لما ادَّعوْه خصَامُ

٧٧- غَيَّرْتُمُ دينَ المسيح وَمَا انتحَى مُوسَى ومَا قَدْ سنَّ إبراهَامُ

٧٨- وحسدتم خيرَ البريَّة أحمدَا فلنَعتِه في كتبكم إبهَامُ

٧٩-هيهاتَ نورُ الشَّمْس ليسَ بمخْتَفٍ والمسكُ كيفَ كَتَمْتَهُ نَمَّامُ

٨٠- منَّا عليه صَلاةُ صَادٍ صَادقٍ ولنَا به برقُ السُّعود يُشَامُ

٨١- يَا بَاعثَ المخْتَارِ من خَيرِ الوَرَى فهو الذي للمُتَّقينَ إمَامُ

٨٢- يا خيرَ مسؤولٍ وأكرمَ مُنْعمٍ ومريدَ مَا تجرَى به الأقْلامُ

٨٣- يا كَاشفَ الغَمَّاءِ يُظْلَم خَطْبها فلَهَا عَلَى سَعَةِ الفَضَاءِ رِكَامُ

٨٤- انصُر شَريعَتَنَا وسَدِّدْ أمرَنَا فلنا الحراسةُ منكَ والإعظَامُ

٨٥- عَجِّل دَمَارَ الكَافرينَ وَأَرْدِهم حَتَّى يكونَ لهم بنَا استعصَامُ

٨٦- وَأتح لهم محَنًا تَأَجَّجُ نَارُهَا يبدُو عَليهَا زفرةٌ وَقَتَامُ

٨٧- واحللُ عَزائمَهم وشَتِّتْ جمعَهُم حَتَّى يُرَى لوُجُودهم إعْدَامُ

٨٨- وأَذِلَّ عِزَّتَهم وخيِّبْ سَعْيَهم ليكونَ مِنْهُم للرَّدَى استسَلامُ

٨٩- وارأبْ ثَأَى الإسلامِ واجبر كَسْرَه حَتَّى يَعُودَ وشَملُه مُلتَامُ

الشَّرح:

(١٩) الذوابلُ: صفة للرماح، سُمِّيت بذلك لِيُبْسِهَا ولُصُوق لِيطِها، يَعْنِي قِشْرَها. جمهرة اللغة ٣٠٥/١، والمخصص ٢٢/٢، الرعف: سرعة الطعن. تاج العروس ٣٥٤/٢٣.

(٢١) الخِيمُ: السَّجِيَّة والطَّبِيعَة. تاج العروس ١٣٤/٣٢.

(٢٣) الأَيْد: القوة. المعجم الوسيط ٣٤.

(٢٤) الآصار: الأحمال الثقيلة. المعجم الوسيط ١٩.

(٢٦) الضَّمْضَامُ: الذي يَحْتَوِي على كُلّ شَيْء يَضُمُّه إلى نَفْسِه. تاج العروس ٥٤٤/٣٢.

(٢٧) مدَجّجُ: لابس الدرع، ملازم للسلاح استعدادًا للحرب. تاج العروس ٥٤٨/٥.

(٢٩) المعلَم: المقدام، بحيث يكون دليلا لغيره. تاج العروس ١٣٢/٣٣.

(٣٨) يستَامُ: يعرض. تاج العروس ٤٢٨/٣٢.

(٥٠) الشَّعَثُ بالتحريك مَصْدَرُ الأَشْعَث، للمُغْبرِّ الرّأْس. تاج العروس ٢٧٩/٥، والكِلامُ: الجراح. المعجم الوسيط ٧٩٦.

(٥١) الضَّالُ: السِّدْرُ البَرِّيُّ. والحِمَى: مَوْضِعٌ فِيهِ كَلأٌ يُحْمَى من الناسِ أنْ يُرْعى. تاج العروس ٣٥٩/٢٩، ٤٧٧/٣٧.

(٦٠) الحِرْم: من الحرام، وهو الممنوع فعله. المعجم الوسيط ١٦٩.

(٧٧) إبراهَامُ: اسم أعجمي، وهو لغة في إبراهيم. لسان العرب. (برهم).

(٨٠) صَادٍ: ظامئ متشوق. تاج العروس ٣٠٦/٨.

(٨٦) القَتَامُ: الغبار تاج العروس ٢٢٥/٣٣.

(٨٩) الثَّأى: الأَمْرُ العَظِيمُ يَقَعُ بينَ القَوْمِ. تاج العروس ٢٦٢/٣٧.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٢١٤/٥ - ٢١٧

(٢٧)

وقال: [من الكامل]

١- يا ربِّ صَلّ على النَّبي وآله ... صَلواتنا ما دَامت الأيامُ

٢- واخصُصْ ختومَ سَلامنا بجنابه ... كالمسكِ يعبَقُ فُضَّ عنه خِتامُ

٣- واحرسْ شريعتَه وأوضح سُبْلَهَا ... تبدُو بها للسَّالكِ الأعلامُ

٤- وأدمْ كرامتَه وأعلِ مَنارَه ... وأنلْهُ أعلى ما لديكَ يُرامُ

٥- وارفعْ له الدَّرَجاتِ في رُتَبِ العُلا ... فهو الذي للمُرْشِدين إمَامُ

٦- وأقمْه بين يديكَ زُلفَى مَوقفٍ ... للحَمْدِ مَا لسِوَاه فيه مقامُ

٧- وأنلْ شفاعته وأوردْ حَوْضَه ... مَنْ لَو أتَاه... منه أُوامُ

٨- يَشْتَاقُه وَيَعُوقُه عُلَقٌ به ... لزمَانه وزَمَانةٌ وسقامُ

٩- وأَتِحْ له مَا لا يُرَامُ حصولُه ... إلاّ بلُقياهُ وعَزَّ مرامُ

١٠- وله عَليه في الأصائلِ والضُّحَى ... تُهْدَى إليه تحيّةٌ وسَلامُ

١١- وبه إلى تقبيلِ مَوْطِئ نَعْلِه ... وَجْدٌ له بين الضُّلُوعِ أُوامُ

الرِّوَاية:

(٧) وورد عجز البيت السَّابع في نَفْح الطِّيب (ط. إحسان عباس) هكذا: «مَنْ لَو أتاه... منه أُوامٌ»، وورد في (ط. محيي الدين عبد الحميد) هكذا: «مَنْ لَو أتاه يشتكى منه أُوامٌ»، ويصح بإضافة كلمة: (يُبلُّ).

(٩) وورد صدر البيت التَّاسع في نَفْح الطِّيب (ط إحسان عباس) برواية: «فبه إليه غُلّةٌ مَا تَشْتَفِي».

الشَّرح:

(٨) العُلَق: الأشغال، والزَّمانة: العاهة. تاج العروس ١٩٦/٢٦، ١٥٣/٣٥.

(١١) الأوام: العطش. تاج العروس ٢٥٣/٣١، وتكررت كلمة القافية هنا وفي البيت السابع فنشأ عيب الإيطاء.

التَّخريج:

نفح الطيب٥٠٤/٧ (ط. إحسان عباس)، ٣٥٠/١٠ – ٣٥١ (ط. محيي الدين عبد الحميد) ما عدا البيت الثَّامن.

(٢٨)

وقال في وصف كتاب: [من الطويل]

١- وجَاءتْ إلينَا من لدنكَ رِسَالَةٌ ... عَلى فَتْرةٍ في آيها الذِّكْرُ مُحْكَمُ

٢- تَحَدَّثت فيها بالبلاغة مُعْجِزًا ... لَمَنْ رَامَهَا فَاللَّفْظُ دُرٌّ مُنَظَّمُ

٣- كَتيبَةُ فَضل أمْ كتَابَةُ فَاضل ... أُولُو الفَضْل منها للفَواضل أُلْهِمُوا

٤- أَخَطٌّ يَرَاعٍ أَمْ قَنَا الخَطِّ أُشْرِعَتْ ... يُرَاعُ لهَا قَلْبُ الكَمِيِّ المُصَمِّمُ

٥- أَسِحْرٌ حَلالٌ أم هي الخمْرُ حُلِّلَتْ ... لِشَارِبِهَا لا لَغْوَ فيها يُؤَثِّمُ

٦- أَرَوْضَةُ حُسْنٍ ثَمَّ مُذْ نَمْنَمَ النَّدى ... خَمَائِلَهَا عَنْهَا النَّسيم المُهَيْنِمُ

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في العِقْد الثَّمين برواية: «منك رسالة × على فَتْرةٍ قرآنها».

(٢) وورد البيت الثَّاني في ملء العيبة برواية: «تَحَدَّيت... الفَضْلِ فيها».

(٣) وورد البيت الثَّالث في ملء العيبة برواية: «كَتِيبَةُ فَصل».

(٦) وورد البيت السَّادس في ملء العيبة برواية: «أَرَوْضَةُ حَزنٍ»، وورد عجزه في العِقْد الثَّمين برواية: «عَنْد النَّسيم المهيتم».

الشَّرح:

(٦) المهينم: والنَّمَّامُ، والنَّمَّامُ: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيح، صِفَةٌ غَالِبَةٌ، سُمِّي بِذلِكَ لِسُطُوعِ رَائِحَتِه، فَيَنِم على حَامِلِه، تاج العروس ١٢٦/٣٤، ١١/٣٤.

التَّخريج:

ملء العيبة: ٢٢١/٥، العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٨/٥.

[قافية النون]

(٢٩)

وكتب في إجازة (أبي محمد الطبيري)(*): [من الطويل]

١- أجزتُ الطبيري النَّدْبَ ذَا المنهج الحسَنْ ... كدأب شُيوخ العلْم في سَالف الزَّمَنْ

٢- روايةَ مَا عَنِّي يجوزُ لِنَاقِل ... روايتهُ ممَّا صَحيح ومِن حَسَنْ

٣- مجَازًا وَمَسْمُوعًا على وُسع خَطره ... ونظمًا ونثرًا وهو في ذاك مُؤتمنْ

٤- على الشَّرط في التَّصْحيح والضَّبط لافظًا ... به من مَسَانيد الصِّحَاح أو السُّنَنْ

٥- ومَا هو موصولٌ ومَا هو مُرْسَلٌ ... ومَا فيه تعليقٌ ومَا فيه: عَنْ، وعَنْ

٦- أجَزتُ لَه واللهُ يشكُرُ سَعْيَه ... وَيَرعَاه للتَّبْليغ في الحلِّ والظَّعَنْ

٧- أفَدْنَاه هَذا وَهو لَو قَد أَفَادَنَا ... لكَانَ له أَهْلا وَكَانَ بِه قَمِنْ

٨- وهذا لَعَمْري خَطُّ نجْل «عَسَاكر ... أبي اليُمْن جار الله وابن أبي الحسنْ»

٩- لسبعينَ عَامًا بَعْدَ عَشْر وَأَرْبع ... وست مئينَ قَدْ تَقَضَّتْ من الزَّمنْ

١٠- بمكة ما بَينَ الحَطِيم وَزَمْزَمٍ ... شكورًا لما أَوْلاه مَولاه ذُو المننْ

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في مجلة العرب برواية: «أجزتُ الطبريّ».

(*) أبو محمد الطبيري هو: عبد الله بن الوزير أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الله الطبيري، الشريشي المولد، السبتي المنشأ، ثم التونسي الدار. ملء العيبة ١/ ١٧٠، ١/ ٢٦٨

التَّخريج:

ملء العيبة ٥/ ١٨٦-١٨٧. والقصيدة- ما عدا البيت العاشر- في مجلة العرب ج ١٠، السنة الثَّالثة، ١٣٨٩، ص ٩٥٣ ضمن بحث العلامة حمد الجاسر الموسوم بـ «الحجاز في القرن السَّابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي».

(٣٠)

وقال متشوقًا إلى زيارة المسجد النبوي: [من البسيط]

١- قَضَى شُجُونًا ومَا قَضَّى له شَجَنَا ... وكمْ تَمَنَّى وهَل يُعْطَى المُحبّ مُنى؟

٢- صَبٌّ ترسَّم رَسمَ الدَّارِ يَنْدُبُها ... بَعد الأَحِبَّة لَمَّا فَارَقَ السَّكَنَا

٣- ويسألُ الرَّبعَ عَنْهُم أيَّةً سَلَكُوا ... وليسَ نَافعُهُ أَنْ يَسألَ الدِّمَنَا

٤- يَا دَارُ مَا فَعلَ الأَحْبَابُ؟ أينَ ثَوَوْا؟ ... أَأَشْأَمُوا أمْ بِيُمْنَى قَدْ نَوَوا يَمَنَا؟

٥- يا طُولَ وَجْدي بهم واوحشَتي لهمُ ... وَفرطَ شَوْقي إلى مَن عَنْكَ قَدْ ظَعَنَا

٦- سُقْيًا لعَهْدِك يَا دَارَ الهوَى فَلَقَدْ ... بوصلهِمْ فيك بُلِّغنَا المُنَى زَمَنَا

٧- يا مُنْتَدَى الحيِّ هَلْ من عَودة لهمُ ... تُدْني بهَا وَطَرًا من نَازحٍ وطَنَا؟

٨- همُ الأَحِبَّةُ كَم أَبْقَوا لَدَيّ لهم ... آثارَ حُسْنَى وَكَمْ قَدْ آثَرُوا حَسَنَا

٩- تَاللهِ مَا نَقضُوا عَهدي ولا رَفَضُوا ... وُدِّي ولا أتبعوا في مَنِّهم مِنَنَا

١٠- لا تَبْعُدُوا وَبَلى! واللهُ قَدْ بَعُدُوا ... وشَطَّت الدَّارُ والمثوَى بهمْ وَبِنَا

١١-دَعْ عَنْكَ نَدبَ المَغَاني وانتدبْ عَجلاً ... فَلَيسَ يُغْنيكَ نَدْبٌ غَادَرَ البدنَا

١٢- وسرْ إلى المصطَفَى الهادي الورَى فَلَه ... تُزْجى المطيُّ فنَهْنهَا بغَير وَنَى

١٣- الهاشميِّ رَسُولِ اللهِ سَيِّدنَا ... فَهو الرَّؤوفُ بنَا وهو الشَّفيعُ لَنَا

١٤- صَلَّى عَليه إلهُ العَرْشِ مَا وَخَدتْ ... عِيسٌ وَمَا أَشْعَرَتْ حُجَّاجُه بُدُنَا

الرِّوَاية:

(٢) ورد البيت الثَّاني في العِقْد الثَّمين برواية: «برسم رسيم».

(٥) ورد البيت الخامس في العِقْد الثَّمين برواية: «وَفرطُ شَـوْقِي مَن عَنْكَ»، بسقوط إلى.

(٧) وورد البيت السَّابع في العِقْد الثَّمين برواية: «يا مُبتَدِي الحيّ».

(٨) وورد البيت الثَّامن في العِقْد الثَّمين برواية: «أَبْقَوا لهم أثرًا... قَدْ أبرأوا حَسَنَا».

(٩) وورد البيت التَّاسع في العقد الثمين برواية: «وُدِّي ولا إبتَغَوا»، وهو تحريف من الناسخ أو الطابع.

(١٠) وورد البيت العاشر في العِقْد الثَّمين برواية: «لا تَبْعُدُون بلى».

التَّخريج:

ملء العيبة: ٥/٢٠٩-٢١٠، والأبيات ١-١٠ في العِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٥/٤٣٥-٤٣٦.

(٣١)

وقال: [من الرمل]

١- يا نزولاً بَين سَلْع وقُبَاء ... جئتُكُمْ أَسْعَى عَلَى شُقّة بَيْني

٢- ونَعَمْ والله إني زَائرٌ ... لمغَانيكُمْ عَلَى رَأْسي وَعَيْني

٣- إنَّ مَنْ أَمَّ حِمَاكُمْ آمِلاً ... راحَ بالمأْمُول مَمْلُوءَ اليَدَين

٤- فاشفَعُوا لي قَدْ تَشَفَّعْتُ بكُمْ ... لِوَصالٍ واتّصَالٍ دَائمَيْن

الرِّوَاية:

(١) ورد البيت الأول في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «وقُبَا... عَلَى رَأْسِي وَعَيْني».

(٢) وورد البيت الثَّاني في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «آتي زَائِرًا... على شُقَّةِ بَيْن»، وورد في التُّحفة اللَّطيفة محرفًا هكذا: «وعني».

(٤) وورد البيت الرَّابع في دُرَّة الأَسْلاك برواية: «بوصال».

التَّخريج:

التَّخريج: تاريخ الإسلام ٥٧٢/١٥، ودُرَّة الأَسْلاك في دولة الأتراك ٤٣٩/١، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢٠/٣، والعِقْد الثَّمين في تاريخ البلد الأمين ٤٣٥/٥.

(٣٢)

وقال: [من البسيط]

١- أوحشتَ إنسَانَ عَيْنَ أنْتَ نَاظرُها يا مَن مُحَيَّاهُ يَسْبي كُلَّ إنسَانِ

٢-واشتقتُ تلكَ السَّجَايَا الغُرَّ لابرِحَتْ تهدِي لأَرْوَاحِنَا أَرْواحَ رَيحانِ

الشَّرح:

(١) أوحشتَ: أي أوجدتَ الإحساس بالوحدة. معجم اللغة العربية المعاصرة ٢٤١٣.

التَّخريج:

مطبوع عيون التواريخ ٤٠٨/٢١، ومخطوطه الورقة ١٥٤/١١.

الهوامش:

(*) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر.

تقسيم البحث:

(١) ص١-٢٨ (الألف والباء).

(٢) ص٢٩-٥٣ (التاء ـ الراء).

(٣) ص٥٤-٨٠ (السين ـ آخر القوافي).

تذييل واستدراك على بحث شرح لامية العرب بين المبرد والتبريزي(*)

أ. سامح مجدي سعيد

بلغ عدد شـروح لامية العرب ـ على مبلغ علمي ـ ٤٦ شـرحًا منها: ٢٦ شرحا مخطوطًا، وثلاثة شروح مفقودة، و١٣ شرحًا محققًا مطبوعًا، وأربعة شروح غير مفردة، هذا غير الشروح مجهولة المؤلف، بالإضافة إلى ١٤ شرحًا معاصرًا، و٦٤ ما بين كتابٍ ورسالةٍ علمية وبحثٍ ودراسة في الدوريات والمجلات المحكَّمة.

وإليكم فروق الإحصاء الببليوجرافي:

المجلة	التعديل
بلغ عدد شروحها ٤٥ شرحًا	بلغ عدد شروحها ٤٦ شرحًا
١٢ شرحًا محققًا	١٣ شرحًا محققًا
١٢ شرحًا معاصرًا	١٤ شرحًا معاصرًا
١٢ بحثًا ودراسة علمية	٦٤ ما بين كتاب ورسالة علمية وبحث ودراسة

أما عن تحقيق النسبة الصحيحة لهذا الشرح المنسوب للمبرد، فقد راود بعض الباحثين ـ أعني: الأستاذ محمود إمام أحمد عبد اللطيف، المُعيد بقسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة [1] ـ شكٌّ كبير في كَوْنِ شارح هذه القصيدة قد تتلمذ على يد الثلاثة العلماء: المبرد وثعلب والفضل اليزيدي،

وذكر ذلك في ورقات أرسلها إليَّ بخط يده، مؤرخة صبيحة الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٦هـ/ ٢٨ مايو ٢٠١٥م.

وهذا نموذج من رسالته بخط يده إليَّ

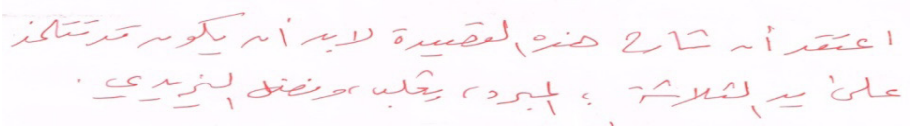

فأدرت الأمر على وجوهه باحثًا في كتب التراجم، فإذ بها تذكر أن أشهر من اشترك في التلمذة على الثلاثة، وتلقى العلم عنهم هو: أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل البغدادي النحوي، المعروف بالأخفش الصغير(٢٣٥ - ٣١٥هـ)، فقد أخذ العلم عن المبرد وثعلب ولازمهما، وكان أكثر ملازمة للمبرد، وكذا سمع من الفضل اليزيدي وأبي العيناء وغيرهم من علماء البصرة والكوفة.

ومن أشهر تلامذته: أبو عبيد الله المرزباني، والمعافى الجريري.

قال عنه الذهبي في السِّير: "وبرع في العربية..وغيره أوسع في الآداب منه.. وكان موثَّقًا".[٢]

ومن تآليفه:

الاختيارين،الأنواء، التثنية والجمع، تفسير رسالة كتاب سيبويه، الجراد، شرح كتاب سيبويه، المهذَّب.

مصادر ترجمته:

الفهرست للنديم (٢٥٦/١)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦٨/١١)، الوافي بالوفيات للصفدي (٩٦/٢١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨٠/١٤)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢١٩/٣)، بغية الوعاة للسيوطي (١٦٧/٢)، نزهة الألباء لابن الأنباري (١٨٥)، إنباه الرواة للقفطي (٢٧٦/٢)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣١٠/٣)، شذرات الذهب لابن العماد (٧٣/٤)، تاريخ

مدينة السلام للخطيب البغدادي (٤٣٣/١١)، الأنساب للسمعاني (٩٦/١)، المنتظم لابن الجوزي (٢٧١/١٣).

غير أنِّي لا أملك الآن دليلاً قويًّا لإثبات صحة هذه النسبة، والمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والنظر.

ولكم أن تتأملوا خاتمة البحث، وتلاحظوا اختلاف النتيجة:

مجلة العرب	التعديل
وعليه فيمكن القول: إن هذا الشرح هو لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن تظهر البيِّنة على خلاف ذلك. وأما الشرح الذي حققه د. محمود العامودي ونسبه إلى التبريزي، فلا يصح أن يكون له؛ ولاسيما أنه اعتمد نسخة مجهولة ضمن مجموعٍ بمكتبة برلين لم يذكر بياناتها، وأغلب الظن أنها نسخة مشوهة ممسوخة منقولة من شرح المبرد، والعلم عند الله.	وعليه فإن هذا الشرح يظل منسوبًا ـ على الشك ـ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد إلى أن تظهر البيِّنة المُرجِّحة خلاف ذلك. وأما الشرح الذي حققه د. محمود العامودي، فلا يصح أن يكون للتبريزي؛ لاسيما وقد اعتمد نسخة مجهولة ضمن مجموعٍ بمكتبة برلين لم يذكر بياناتها. ويغلب على الظن الراجح أنها نسخة منقولة من الشرح المنسوب للمبرد، وما فيهما من اختلافات يسيرة إنما يرجع لتصرفات النُّساخ؛ وذلك لما في الشرح المنسوب للتبريزي والشرح المنسوب للمبرد من تشابهٍ كبير حتى لكأنهما نصٌّ واحد.

قائمة وراقية (ببليوجرافيا)

جهود العلماء وعنايتهم بلامية العرب وصاحبها قديمًا وحديثًا

أولاً: الشروح المخطوطة:

١. شرح أبي العباس أَحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ). [٣]

٢. شرح منسوب لأبي بكر بن دريد (٣٢١هـ). [٤]

٣. شرح محمد بن الحسين بن أَبي لاجك التركيّ. [٥]

٤. شرح أبي البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدَّمِيريّ (٨٠٨هـ). [٦]

٥. شرح مهذب الدين أبي نصر محمد بن يحيى بن كرم النحوي أَلَّفه سنة ١١٧٠هـ. [٧]

٦. شرح سليمان بن محمد بن أحمد بن زيد بن سليم أَلَّفه سنة ١١٩٢هـ. [٨]

٧. شرح أبي الخير عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين السويدي (١٢٠٠هـ). [٩]

٨. شرح عمر بن الحسن بن مسافر الأموي أَلَّفه سنة ١٢٣٢هـ. [١٠]

٩. شرح محمد سعيد بن عبد اللطيف بن عبد الرزاق البغدادي، كان حيا سنة ١٢٦٦هـ. [١١]

١٠. شرح أحمد بن محمد بن إسماعيل المعافي التهامي الضحوي (١٢٨٠هـ) [١٢].

١١. شرح الحسن بن أحمد المعروف بعاكش الضمدي اليمني (١٢٨١هـ) [١٣]

١٢. شرح محمد الطيب بن محمد صالح بن محمد العلوي المالكي (١٣٣٤هـ). [١٤]

١٣. شرح محمد صديق بن محمد صالح الرامبوري (١٣٣٤هـ) [١٥]

١٤. شرح أبي بكر بن العربي بن محمد البناني الفاسي (١٣٣٥هـ).[١٦]

١٥. شرح لعبد الرحمن بن محمد.[١٧]

١٦. شرح لمحمد العصاميّ الدمشقي.[١٨]

١٧. شرح لمحمد الخالدي الصفديّ.[١٩]

١٨. شرح لعبد الهادي التازيّ.[٢٠]

١٩. شرح لمؤلف يدعى: المجوسيّ.[٢١]

٢٠. شرح بالفارسية لغلام حسين الشيرازي المعروف بقاموس كوشي (١٣٣٩هـ).[٢٢]

٢١. شرح اللاميات، لحسين بن عبد الجليل برادة.[٢٣]

٢٢. شرح لمحمد بابا الصحراوي الشنقيطي (١٣٤٤هـ).[٢٤]

٢٣. شرح لمحمد المكي بن محمد البطاوري (١٣٥٥هـ).[٢٥]

٢٤. شرح لعبد الكريم بن الحسين الزين (١٣٦٠هـ).[٢٦]

٢٥. شرح لحكمت بن محمد شريف الطرابلسي (١٣٦٤هـ).[٢٧]

٢٦. شرح لمحمد بن باباه القناني الشنقيطي (١٣٨٢هـ).[٢٨]

ثانيا: الشروح المفقودة:

٢٧. شرح أبي جعفر النحاس (٣٣٨هـ).[٢٩]

٢٨. شرح أبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (٥٠٢هـ).[٣٠]

٢٩. شرح صلاح الدين خليل بن أيبك الصفديّ (٧٦٤هـ).[٣١]

ثالثا: الشروح غير المفردة:

تعرض بعض الشراح إلى شرح لامية العرب ضمن كتبهم التي احتوت

نصوصًا أخرى غيرها، ومن ذلك:

٣٠. شرح ابن طيفور البغدادي (٢٨٠هـ) ضمن كتابه: القصائد المفردات التي لا مثل لها.[٣٢]

٣١. شرح لمؤلف مجهول من القرن الرابع في كتابه: المنتخب في محاسن أشعار العرب.[٣٣]

٣٢. شرح أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسيني المعروف بابن الشجري (٥٤٢هـ) في كتابه: مختارات شعراء العرب.[٣٤]

٣٣. شرح عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) ضمن كتابه: خزانة الأدب.[٣٥]

رابعاً: الشروح المحققة المنشورة:

٣٤. شرح المبرد (٢٨٥هـ).[٣٦]

٣٥. شرح الزمخشري (٥٣٨هـ).[٣٧]

٣٦. شرح أبي البقاء العكبري (٦١٦هـ).[٣٨]

٣٧. شرح يحيى بن عبد الحميد الحلبي الغساني المعروف بابن أبي طيّ النجار (٦٣٠هـ).[٣٩]

٣٨. شرح منسوب لمحمد بن عبد الله بن مالك: صاحب ألفية النحو (٦٧٢هـ).[٤٠]

٣٩. شرح مؤيد بن عبد اللطيف النَّقْجُوَانيّ كتبه سنة ٩٨٣هـ.[٤١]

٤٠. شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي الماغوسيّ (بعد ١٠١٦هـ).[٤٢]

٤١. شرح أبي الإخلاص جاد الله الغنيمي الفيومي (بعد ١١٠١هـ).[٤٣]

٤٢. شرح محمد بن القاسم بن محمد بن زاكور الفاسي (١١٢٠هـ).[٤٤]

٤٣. شـرح أبي البركات عبد الله بن الحسـين بن مرعي الدوري السـويدي (١١٧٤هـ).[٤٥]

٤٤. شرح عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله الأزهري المصري (١١٨٦هـ[٤٦]

٤٥. شرح سليمان بن عبد الله الشاوي العبيدي البغدادي (١١٤٠هـ). [٤٧]

٤٦. شرح محمد محمود بن التلاميد التُركزي الشنقيطي (١٣٢٠هـ).[٤٨]

خامساً: الشروح الحديثة:

٤٧. شرح الشيخ حمزة فتح الله ضمن كتابه: "المواهب الفتحية".[٤٩]

٤٨. شـرح فـؤاد حسـنين علـي، وقدم لهـا شـرحًا مقارنًا مع لغات سـامية أخرى[٥٠]

٤٩. شرح محمد ناجي القشطيني ضمن كتابه: «المختارات».[٥١]

٥٠. شرح السيد إبراهيم بن عباس الرضوي الحسني (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).[٥٢]

٥١. شرح محمد بديع شريف ضمن كتابه:» نشيد الصحراء».[٥٣]

٥٢. شـرح د. عبـد الحليم حنفي ضـمن كتابه:» شـعر الصـعاليك منهجه وخصائصه»، ثم أفرد الشرح بعد ذلك في كتابه:» لامية العرب للشنفرى شرح ودراسة».[٥٤]

٥٣. شرح يوسف اليوسف ضمن كتابه : «مقالات في الشعر الجاهلي».[٥٥]

٥٤. شـرح د. محمد علي أبو حمدة في كتابه: التذوق الجمالي للامية العرب للشنفرى. [٥٦]

٥٥. شـرح د. علي محسن مال الله ضـمن كتابه : «تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام».[٥٧]

٥٦. لامية العرب للشنفرى، بعناية ودراسة د.صلاح الدين الهواري. [٥٨]

٥٧. شرح محمود أبو ناجي ضمن كتابه: "الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ". [٥٩]

٥٨. شرح لامية العرب (الشنفرية) للشيخ أحماد بن أبا الأبهمي الديماني. [٦٠]

٥٩. شرح الشيخ محمد عبد الله بن محمد سعيد بن أُبيَّاه الشنقيطي المُلقب "بُومِيَّة". [٦١]

٦٠. شرح وإعراب لامية الشنفرى، عبد الرحمن بن عوف كُونِي. [٦٢]

سادساً: الدراسات المعاصرة:

٦١. لامية العرب الكبرى، رضا الشبيبي. [٦٣]

٦٢. دراسة في لامية العرب للشنفرى، لغزيوي علي. [٦٤]

٦٣. من شعرنا وشعرهم: الذئب بين الشنفرى والفرزدق والبحتري وألفريد دوفيني. [٦٥]

٦٤. لامية العرب بين النَّحل والتوثيق، عادل الفريجات. [٦٦]

٦٥. سريالية الصورة في لامية الشنفرى، ميّ مظفر. [٦٧]

٦٦. لامية العرب دراسة تاريخية نقدية، محمد مشعل الطويرقي. [٦٨]

٦٧. لامية العرب للشنفرى، عبد العزيز إبراهيم. [٦٩]

٦٨. القيم العربية في لامية العرب (دراسة موجزة بمقدمة كتاب: بلوغ الأرب في شرح لامية العرب)، محمد عبد الرزاق عرفان. [٧٠]

٦٩. لامية العرب أو رحلة التوحش (دراسة تطبيقية حول مفهوم الوحدة في النص الشعري)، د. سعود دخيل الرحيلي. [٧١]

٧٠. لامية العرب للشنفرى، د. زينب عبد العزيز العمري. [٧٢]

٧١. الشنفرى ولاميته في ميزان الشاهد النحوي، د.عبد الله علي محمد إبراهيم. [٧٣]

٧٢. رأيي في القصيدة المشهورة بلامية العرب، زكي ذاكر العاني. [٧٤]

٧٣. الصعلكة لدى الشنفرى ودلالتها الاجتماعية والنفسية، د.فضل العمَّاري. [٧٥]

٧٤. الرامـوز المقلوب الشنفرى أواخر القرن السادس الميلادي، أندريه ميكل [٧٦].

٧٥. ملامح المرأة في شعر الشنفرى الأزدي: قراءة بيانية، وجدان عبد الإله الصايغ. [٧٧]

٧٦. الجهود اللغوية والنحوية في شروح لامية العرب، بشرى عبد الرزاق العذاري. [٧٨]

٧٧. النص الجاهلي بين تلقِّيَيْن قديم وحديث..لامية العرب نموذجًا، د.عادل الفريجات. [٧٩]

٧٨. عذابات الشنفرى: قراءة في سيرته وشعره، فاروق أسليم. [٨٠]

٧٩. المسائل النحوية والتصريفية في شروح لامية العرب حتى أواخر القرن السابع الهجري..جمعًا ودراسة، أحمد بن عبد الله القشعمي. [٨١]

٨٠. أزل تهاداه التنائف أطحل..قراءة في لامية العرب للشنفرى، مبروك المناعي. [٨٢]

٨١. قراءة في لاميات الأمم: العرب والعجم واليهود والهنود، د.محمود الربداوي. [٨٣]

٨٢. شعر الشنفرى الأزدي..دراسة توثيقية وتحقيقية، محمود عبد الله الجادر.[٨٤]

٨٣. صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، عبد الكريم يعقوب.[٨٥]

٨٤. أثر البيئة في بنية الشعر الجاهلي من خلال معلقة طَرَفة ولامية الشنفرى، د.منى إبراهيم الدسوقي.[٨٦]

٨٥. اللغة الشعرية عند الشنفرى..دراسة وصفية تحليلية، البشير المناعي[٨٧]

٨٦. شعر الشنفرى دراسة أدبية من منظور لغوي، ابتسام حمزة العنبريّ[٨٨]

٨٧. فكرة الانتماء في لامية الشنفرى الأزدي، د.جاسم بن صالح الدليمي[٨٩]

٨٨. مخطوطة غميسة لكتاب نادر في شرح لامية العرب للشنفرى، د.عزة حسن. [٩٠]

٨٩. قراءة في لامية الشنفرى في ضوء علم اجتماع الأدب، د.عبد الله محمد عيسى الغزالي. [٩١]

٩٠. الجملة الاسمية في شعر الشنفرى..دراسة نحوية تطبيقية، أميرة أبكر خليل إسماعيل. [٩٢]

٩١. الذهنية الفردية بالمخيال الجمعي.. لامية العرب للشنفرى أنموذجًا، د.عبد الفتاح أحمد يوسف. [٩٣]

٩٢. لامية العرب للشنفرى..معجم ودراسة دلالية، د.ندى عبد الرحمن الشايع. [٩٤]

٩٣. الأسلوب في لامية العرب للشنفرى..دراسة في البنية اللغوية، رشيد بن قسيمة.[٩٥]

٩٤. جدلية الأنا والآخر في لامية العرب للشنفرى، د.أسماء شمس الدين[٩٦]

٩٥. الشنفرى: الصعلوك الذي خلع قومه، إبراهيم محمود الصغير . [٩٧]

٩٦. سـؤال النص وإشـكالية تقاطع النزوع الإنساني مع المرجعيات الجمعية داخل نص لامية العرب، د.عبد الفتاح أحمد يوسف. [٩٨]

٩٧. جدليـة العلاقة بـين لامية الشـنفرى وسـينية البُحـتُريّ: لوحتا الذئب وأنطاكيا نموذجًا، د.حسن فالح بكور. [٩٩]

٩٨. لامية العرب..توثيق وتأصيل، نزار عوني. [١٠٠]

٩٩. قراءة في لامية العرب للشنفرى الأزدي، د.أحمد درويش. [١٠١]

١٠٠. لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر، باسم إدريس قاسم. [١٠٢]

١٠١. فاعلية المعنى النحوي في إضـاءة النصـوص الشعرية..دراسة في لامية العرب للشنفرى، رشيد بن قسيمة. [١٠٣]

١٠٢. لامية العرب بين النفي والإثبات، عبد اللطيف حمودي الطائي. [١٠٤]

١٠٣. التشبيه في لامية العرب..دراسة نفسية، د.محمد أحمد أمين أحمد. [١٠٥]

١٠٤. دراسة نقدية في تسمية لامية العرب، د. سيد محمد موسوي. [١٠٦]

١٠٥. رؤية الإبداع الجمالية في لامية الشنفرى، د.منال عيسى. [١٠٧]

١٠٦. لامية العرب بين التواصـل والقطيعة..مقاربة حجاجية، د.عبد الرحمن أحمد إسماعيل كرم الدين. [١٠٨]

١٠٧. لامية العرب..دراسة نحوية نصية، د.عصام عبد المنصف أبو زيد. [١٠٩]

١٠٨. لامية العرب: سـيميائية الأمومة والسـؤال الطوباوي..بحث في مسـالك المعنى، د.محمد موسى العبسي. [١١٠]

١٠٩. البنيـة الإيقاعيـة في لامية العرب للشـنفرى، د.خالد بـن ميلاد محمد العود. [١١١]

١١٠. الإيقاع الصـوتي في لامية العرب للشنفرى..دراسـة أسلوبية إحصائية،

د.محمود حسين عبيد الله العزازمة.[١١٢]

١١١. مظاهر التمرد في الشعر الجاهلي..عنترة وطرفة والشنفرى أنموذجًا، د.سعدية حسين البرغثي. [١١٣]

١١٢. التشكيل الاستعاري والكنائي في لامية العرب، د.محمد أحمد أمين أحمد. [١١٤]

١١٣. الذئب والقطا في لامية العرب للشنفرى..دراسة تحليلية، د.عبد الجليل حسن صرصور . [١١٥]

١١٤. دلالة السيميائية في لامية العرب للشنفرى دراسة وتحليل، شهريار همتي، وجهانكير أميري، ومهدي بورآذار.[١١٦]

١١٥. قراءة جديدة لنشيد الصحراء، عوريب كاظم مجيسر. [١١٧]

١١٦. قراءة جديدة لنشيد الصحراء لامية العرب، إبراهيم علي شكر. [١١٨]

١١٧. القيم الأخلاقية في لامية الشنفرى، انتصار مهدي عبد الله الصديق. [١١٩]

١١٨. لوحة الذئاب في لامية الشنفرى، ظهير خضر الشعراني. [١٢٠]

١١٩. الدلالة الصوتية في لامية العرب للشنفرى، رمضان محمود محمد. [١٢١]

١٢٠. لغة الفردية والمكان..لامية الشنفرى نموذجًا، د.محمود سليم محمد هياجنة. [١٢٢]

١٢١. الهجرة إلى عالم الوحش في لامية الشنفرى..دراسة لسانية نصية، د.عاطف محمد كنعان. [١٢٣]

١٢٢. الصورة الشعرية في لامية العرب، د.البشير إبراهيم أبو شوفة. [١٢٤]

١٢٣. تحديد المعنى في شرح لامية الشنفرى: دراسة تحليلية د. طُلْبة عبد الستار مسعود. [١٢٥]

١٢٤. نزعة الاغتراب في شعر الشنفرى في ضوء المنهج النفسي، د. عمر محمد إبراهيم محمد [١٢٦].

الهوامش:

(*) تنظر العرب س٥٤، ج٣ و٤، رمضان وشوال ١٤٣٩هـ / مايو - يونيو ٢٠١٨م ص ص ٢٠٧ - ٢٣٤.

(١) تحصَّل على الماجستير عن رسالته: «**مقدمات الكتب الأدبية في الأندلس من القرن الخامس الهجري وحتى سقوط غرناطة**: دراسة تحليلية للنص الموازي»، تحت إشراف: د. عبد الحميد شيحة، وقد أُجِيزَت بتقدير: ممتاز، وذلك يوم الاثنين ٢٠١٧/٨/١٤م.

(٢) انظر: **سير أعلام النبلاء**، (١٤/ ٤٨٠)

(٣) **تاريخ الأدب العربي** لبروكلمان (١٠٨/١).

(٤) بروكلمان (١٠٧/١)، ومنه نسخة بمكتبة برلين تحت رقم (٧٤٦٨)ضمن مجموع أوله رسالة المقصور والممدود لابن دريد، ثم شرح لامية العرب لمجهول، ثم شرح بانت سعاد لأبي البركات الأنباري، ثم قصيدة ثائية لابن دريد، وليس في شرح اللامية ما يشير إلى كونه لابن دريد، ولعل من نَسَبَه إليه نظر إلى أول المجموع وآخره. قلت: وعن هذه النسخة مجهولة المؤلف حققه د.محمود العامودي ونفاه عن المبرد ونسبه للتبريزي!!

(٥) بروكلمان (١٠٨/١)، وقد كتبه سنة (٦٩٨هـ)، واسمه: عقد درر الأدب في شرح لامية العرب، وله نسخة بخط المؤلف في أيا صوفية تحت رقم (٣١٤٥) في ٨٤ ورقة، وأخرى في تونس بالزيتونة تحت رقم (١٠٠٣٠) في ٤٧ ورقة، وأخرى بجامعة بطرسبرج تحت رقم (٧٣٢).

(٦) **فهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي** (٣٨٧/٢).

(٧) سيزكين (٥٥/٢)، **نوادر المخطوطات العربية** في مكتبات تركيا (٢٩٧١/١).

(٨) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٩٠).

(٩) **جامع الشروح والحواشي**، عبد الله بن محمد الحبشي (٣ /٧٨٩).

(١٠) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٨٩).

(١١) **فهرس المخطوطات الأدبية** في دار صدام للمخطوطات، ص(٣٨٩).

(١٢) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /٧٩٠).

(١٣) انظر مقدمة د.علي بن ناصر غالب في تحقيقه لشعر **الشَّنْفَرَى الأزدي** لمؤرج بن عمرو السدوسي، ص(١٣).

(١٤) **جامع الشروح والحواشي** (٣ /٧٩٠).

(١٥) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠)، واسمه: الانتقاد على العلامة محمد الشنقيطي في رده على عاكش الضمدي.

(١٦) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠)، واسمه: حل المشكلات المنتدب في شرح لامية العرب.

(١٧) **سيزكين** (٥٤/٢)، وله نسخة بمكتبة جامعة استنابول تحت رقم (٨٧٤) في ١٥ ورقة، واسمه: **خلاصة الأدب على لامية العرب.**

(١٨) **سيزكين** (٥٤/٢)، وله نسخة بخط المؤلف بمكتبة أسعد أفندي تحت رقم (٢٧٩٨)، وأخرى بمكتبة عاطف أفندي تحت رقم [٢١٩٢] ضمن مجموع (١٧ب-٢٣ب)، مؤرخة ١١٠٣هـ.

(١٩) **سيزكين** (٥٤/٢).

(٢٠) **سيزكين** (٥٤/٢).

(٢١) **سيزكين** (٥٥/٢).

(٢٢) **سيزكين** (٥٥/٢).

(٢٣) **فهرس المخطوطات الأدبية** بدار صدام للمخطوطات، ص (٣٨٨).

(٣٤) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩٠-٧٩١).

(٣٥) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١)، واسمه: هامية الطرب في شرح لامية العرب.

(٢٦) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١).

(٢٧) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١).

(٢٨) **جامع الشروح والحواشي** (٣ / ٧٩١)، واسمه: عود الطرب في شرح لامية العرب.

(٢٩) انظر: **شرح القصائد التسع** المشهورات لأبي جعفر النحاس، تحقيق د.أحمد خطاب (٢٧/١).

(٣٠) **خزانة الأدب للبغدادي** (٣٤١/٣)، بروكلمان (١٠٩/١).

(٣١) ذكره عصام الدين بن عثمان العمريّ في كتابه: **الروض النضر في ترجمة أدباء العصر**، تحقيق سليم النعيمي (٤٠٥/١).

(٣٢) طُبع بتحقيق د. محسن غياض، منشورات عويدات – بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م.

(٣٣) **المنتخب في محاسن أشعار العرب المنسوب للثعالبي** لمؤلف مجهول من القرن الرابع، تحقيق د.عادل سليمان جمال، ص(٢٩١-٣٠٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٣٤) طُبع أولا بعناية: محمود حسن زناتي سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، ثم بتحقيق علي محمد البجاوي، ص (٧٢-١٠٦)، دار النهضة، القاهرة، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.

(٣٥) وقد شرح منها ثمانية عشر بيتًا فقط، وقد قام بجمعها في سلك واحد وحققها د.محمود العامودي

ونشرها بمجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد (١٣)، العدد الأول سنة١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٣٦) **بروكلمان** (١٠٥/١)، وقد قابلته على ست نسخ خطية وشارفت على إتمام تحقيقه، ضمن متطلبات الحصول على دبلوم علوم المخطوط من معهد المخطوطات العربية هذا العام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

(٣٧) صدر أول مرة بعناية: عبد رسول البخاري مع الشرح المنسوب للمبرد وشرح ابن زاكور الفاسي بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠هـ، ثم بعناية محمد أمين الخانجي بالقاهرة ط٢، سنة ١٣٢٤هـ، وأخرى بعناية عبد المعين الملوحي تحت عنوان: **اللاميتان** (لامية العرب للشنفرى بشرح الزمخشري، ولامية العجم للطغرائي بشرح الصفدي) وزارة الثقافة والنشر بدمشق سنة ١٩٦١م، وحققه د.محمد إبراهيم حور، مطبعة سعد الدين بدمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٣٨) واسمه: **إعراب لامية الشنفرى**، طبع هذا الشرح أولا في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد (٣٣)، الجزء الأول، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، بتحقيق د.محمد خير الحلواني، ثم نشره مستقلاً بدار الآفاق الجديدة ببيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وحققه كذلك د.رجب إبراهيم الشحات، ونشره ضمن كتاب **دراسات عربية وإسلامية** مهداة إلى الشيخ محمود شاكر ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص(٢٤٣- ٢٧٩)، ويُعد شرح العكبري تلخيصًا لشرح الزمخشري السابق.

وحققه كذلك محمد أديب عبد الواحد جمران، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٣٩) **بروكلمان** (١٠٨/١)، و**تاريخ التراث العربي** لسيزكين (٥٣/٢)، واسمه: المنتخب في شرح لامية العرب، وقد حققه مؤخرا : د. إبراهيم بن محمد البطشان، ونشرته دار المنهاج بجُدة، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، وانظر: يحي بن أبي طي الحلبي المؤرخ والأديب وكتابه: **المنتخب في شرح لامية العرب**، د.عمر عبد السلام تدمري، بحث منشور بمجلة تاريخ العرب والعالم-لبنان، مجلد (٣٥) عدد (٢٤٩)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص (٣-١٨).

(٤٠) منه نسخة بمكتبة فيض الله أفندي تحت رقم (٢١٢٩) ضمن مجموع (٩٢أ-٩٦ب)، انظر: **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا** (١٧٢/١)، وقد حققه د.محمود العامودي، ونشره بمجلة جامعة النجاح الوطنية في غزة، المجلد (١٤) العدد الثاني، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ولا تصح نسبته إلى ابن مالك؛ فليس فيه ما يدل على كونه له، لاسيما وأن المصادر التي ترجمت لابن مالك - على وفرته وكثرتها - لم تنسب له هذا الكتاب، والأمر يحتاج إلى توثيق ودراسة.

(٤١) سيزكين (٥٣/٢)، وقد حققه د.محمود العامودي ونشره بمجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات بالأردن، في ٤٨ صفحة، المجلد(٣)، عدد (٢)، ص (١٤٧ - ١٨٩)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٢) واسمه: **إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب**، وقد حققه د.محمد أمين المؤدب في رسالة الدبلوم العالي بكلية الآداب جامعة الرباط بالمغرب في جزئين سنة ١٩٩٧م، انظر: من نوادر مخطوطات المكتبة المغربية، ص(١٩٤)، وطبعه بعد ذلك مؤخرًا بدار الأمان بالرباط وتوزيع دار الكتب العلمية بيروت.

(٤٣) سيزكين (٥٣/٢)، واسمه: عنوان **الأدب** بشرح لامية العرب، وقد حققه د.محمود العامودي، ونشره بمطبعة المقداد بغزة ـ فلسطين ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٤٤) واسمه: **تفريج الكرب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب**، صدر أول مرة بعناية: عبد رسول البخاري مع الشرح المنسوب للمبرد وشرح الزمخشري بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠٠هـ، ثم حققه د.محمود العامودي، ونشره بمطبعة المقداد بغزة – فلسطين، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. وكذلك علي إبراهيم كردي في دمشق ١٩٩٥م.

(٤٥) **سيزكين** (٥٤/٢)، وقد حققه عصام عكلة عبد القهار الكبيسي في رسالته للماجستير بكلية التربية قسم اللغة العربية جامعة الأنبار بالعراق ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٤٦) واسمه: **نهاية الأرب في شرح لامية العرب**، حققه أولاً: د.عبد الله عبيد الغزالي، ونشره في حوليات كليات الآداب بالكويت الحولية ١٢، الرسالة ٧٤، وذلك سنة ١٤١٤هـ/١٩٩١م. ثم حققه بعد ذلك د.محمود العامودي، ونشره بدار البشير، غزة – فلسطين، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤٧) **سيزكين** (٥٤/٢)، وقد حققه مهند مجيد برعي العبيدي في رسالته للماجستير بكلية اللغة العربية جامعة بغداد بالعراق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وانظر: مخطوط سكب الأدب في شرح لامية العرب وأهميته في استقراء تاريخ العراق خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، د.علي بن حسين البسَّام، بحث منشور بمجلة **الدارة** السعودية في ٢٩ صفحة، المجلد (٣٥) عدد (٤)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص (١٥٥ ـ ١٨٣).

(٤٨) بروكلمان (١٠٨/١)، سيزكين(٥٥/٢)، واسمه: **إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب**، وقد حققه: رائد بن سعد الشلاحي، دار غراس – الكويت، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤٩) **المواهب الفتحية**، طبع بالقاهرة لأول مرة سنة١٣١٢هـ/١٨٩١م، وأعادت طبعه مكتبة التراث بالقاهرة، بتحقيق أستاذنا د. محمود إبراهيم الرضواني (١٦٤/١ ـ ١٨٦).

(٥٠) في بحث نشره **بمجلة كلية الآداب** – جامعة فؤاد الأول (القاهرة)، في ٢٢ صفحة، المجلد (١٠) الجزء (١)، ص (٤٥ ـ ٦٦)، ١٣٦٩هـ/١٩٤٨م.

(٥١) مختارات محمد ناجي القشطيني، دار الجمهورية بغداد، ص(٣٣٣-٣٧٤)، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

(٥٢) وقد فرغ منه سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٦م، ونشرته محققا د. أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي للمعارف - دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩، وخرج في ٢٤٥ صفحة.

(٥٣) **نشيد الصحراء**، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م.

(٥٤) **شعر الصعاليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص(١٦٠-١٧٨)، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

(٥٥) **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق - بيروت، ص(٢٠٩-٢٩٣)، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

(٥٦) طبع هذا الشرح بمكتبة الأقصى بعمان الأردن، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، وهي رسالة من القطع الصغير في (٨٤) صفحة، ثم طبعه مرة أخرى تحت اسم: **في التذوق الأسلوبي واللغوي للامية العرب**، بدار عمار بالأردن ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥٧) **تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام**، بغداد، ص(٤٠٧-٤١٨)، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٥٨) طبعة المكتبة العصرية - صيدا بيروت، في كتيب من القطع الصغير يقع في ١٠٤ صفحة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٥٩) **الشنفرى شاعر الصحراء الأبيّ**، وزارة الثقافة الجزائرية، ص(١٠٥-١٣٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٦٠) وقد فرغ الشيخ من هذا الشرح في رمضان ١٣٩٢هـ/١٩٧١م، ولكنه طُبِع في ربيع الآخر ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. ويقع هذا الشرح في ٢٦ صفحة.

(٦١) ضمن كتاب: **الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية**، المشتملة على شرح قصيدة كعب ولامية الشنفرى والمعلقات السبع، قيدها د. وليد عبد الله المنيس، إصدارات مجلة الوعي الإسلامي بالكويت، العدد (١٠١)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥ م، ص(٧٣-١٢٤).

(٦٢) وسمَّاه: جَوْبُ جوفِ الفَرى بشرح وإعراب لامية الشنفرى، وطبعته دار الميراث النبوي بالجزائر، في مجلد صغير يقع في ٢٥٢ صفحة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(٦٣) بحث منشور **بمجلة المجمع العلمي العربي** - دمشق، في ٤ صفحات، المجلد (٦) الجزء (١١-١٢)، ص (٥٥١-٥٥٤)، ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.

(٦٤) مقال منشور **بمجلة دعوة الحق المغربية**، في ٤ صفحات، عدد (٢) السنة (١٥)، ص (٩٨-١٠١)، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٦٥) بحث منشور **بمجلة: الآداب الأجنبية** - سوريا، في ١٢ صفحة، عدد (١٩٦)، ص (١٧١-١٨٢)، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

(٦٦) بحث منشور **بمجلة: المعرفة** - وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ١٤ صفحة، عدد (١٩٦)، ص (١١١-١٢٤)، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ثم نشره بعد ذلك في كتابه: إضاءات في النقد الأدبي،

منشورات دار أسامة ـ دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص(٥١ ـ ٧٤).

(٦٧) بحث منشور **بمجلة الأقلام**، السنة (١٨) العدد (٨)، ص (٢٤ ـ ٢٩)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

(٦٨) رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٦٩) نُشِر ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٧٠) وهي مستلة من رسالته للماجستير كما ذُكِر في المقدمة انظر ص (٩)، وتشغل هذه الدراسة ٢٢ صفحة، ص (٢٦ـ ٤٧)، دار الحديث ـ القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٧١) بحث منشور بمركز بحوث كلية الآداب جامعة الملك سعود بالرياض، في ٦٥ صفحة، عدد (٢٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٧٢) بحث منشور **بمجلة: كلية الآداب** ـ جامعة بنها، في ٤٢ صفحة، عدد (١)، ص (٢٧ـ ٦٨)، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٧٣) بحث منشور **بمجلة: كلية اللغة العربية** ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق، في ٤٦ صفحة، عدد (١٥)، ص (٣٠٠ ـ ٣٤٥)، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٧٤) بحث منشور بمجلة آداب الجامعة المستنصرية بالعراق، العدد(٢٧)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٧٥) بحث منشور **بمجلة: كلية الآداب** ـ جامعة الملك سعود، في ٣٦ صفحة، المجلد (٨) العدد (٢)، ص (٢٤٣ ـ ٢٧٨)، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٧٦) بحث منشور **بمجلة: العلوم الإنسانية** ـ البحرين، في ١٢ صفحة، العدد الأول، ص (٢١٧ ـ ٢٢٨)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧٧) بحث منشور **بمجلة: العرب**، في ١٧ صفحة، المجلد (٣٤) العدد (٥ـ ٦)، ص (٣٥١ ـ ٣٦٧)، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧٨) رسالة ماجستير بكلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٩) بحث منشور **بمجلة: جذور** ـ النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، في ٤٨ صفحة، المجلد (٢) الجزء (٤)، ص (١٦٣ ـ ٢١٠)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨٠) بحث منشور **بمجلة: المعرفة** ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٢٠ صفحة، السنة (٣٩) عدد (٤٤٥)، ص (٢١٩ ـ ٢٣٨)، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨١) رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) بحث منشور **بمجلة: حوليات الجامعة التونسية**، في ١٦ صفحة، العدد (٤٥)، ص (١٤١ ـ ١٥٦)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٣) بحث منشور **بمجلة: التراث العربي** ـ سوريا، في ٣٦ صفحة، المجلد (٢١) العدد (٨٣ ـ ٨٤)، ص (٨٨ ـ ١٢٣)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بحث منشور **بمجلة: المورد العراقية**، في ٨ صفحات، المجلد (٣٠) العدد (١)، ص (٥٣ ـ ٦٠)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) بحث منشور **بمجلة: جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية** ـ سوريا، في ٢٢ صفحة، المجلد (٢٥) الجزء (١٨)، ص (١١٩ ـ ١٤٠)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨٦) بحث منشور **بمجلة: كلية التربية** (القسم الأدبي) ـ جامعة عين شمس، في ٦٦ صفحة، المجلد (١١) العدد (١)، ص (١٤١ ـ ٢٠٦)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٧) رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات ـ جامعة الجزائر، في ٣٤ صفحة، العام الدراسي ١٤٢٦ ـ ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٥ ـ ٢٠٠٦م.

(٨٨) بحث نشر مفردًا في ٨٠ صفحة، وطبعه: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٨٩) بحث منشور **بمجلة: جذور**. النادي الأدبي الثقافي بجُدَّة، في ٢٤ صفحة، المجلد (١١) الجزء (٢٥)، ص (٦١ ـ ٨٤)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩٠) بحث منشور **بمجلة: التاريخ العربي** ـ المغرب، في ١٩ صفحة، العدد (٤١)، ص (١٣٧ ـ ١٥٥)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩١) بحث منشور **بمجلة: رسالة المشرق** ـ مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، في ٤١ صفحة، المجلد (٢٠) العدد (١ ـ ٤)، ص (٢٤٩ ـ ٢٨٩)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩٢) رسالة ماجستير، بكلية اللغة العربية ـ جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٣) بحث مقدَّم لمؤتمر النقد الدولي الثاني عشر وعنوانه: (تداخل الفنون الأدبية) ـ قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب ـ جامعة اليرموك ـ الأردن، في ٢٢ صفحة، المجلد (١)، ص (٨٥٨ ـ ٨٧٩)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٤) أصدرته مكتبة لبنان ناشرون، في مجلدة صغيرة من ١٦٧ صفحة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٩٥) رسالة ماجستير بقسم الأدب بكلية الآداب واللغات ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكرة بالجزائر، في ١٨٠ صفحة، العام الدراسي ١٤٢٩ ـ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٨ ـ ٢٠٠٩م

(٩٦) بحث منشور **بمجلة: كلية الآداب** ـ جامعة بنها، في ١٠٨ صفحة، عدد (٢١) الجزء (١)، ص (١٩ ـ ١٢٦)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

(٩٧) بحث منشور **بمجلة** المعرفة سوريا، في ٩ صفحات، عدد (٥٩١) السنة (٥١)، ص (٣٧-٤٦)، محرم ١٤٣٤هـ/كانون الأول ٢٠١٢م.

(٩٨) بحث منشور **بمجلة: بونة للبحوث والدراسات**- الجزائر، في ٧٢ صفحة، عدد (١١-١٢) الجزء (١)، ص (١٥-٨٦)، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. ونشره مرة أخرى مختصرًا بمجلة: عالم الفكر- الكويت، في ٣٢ صفحة، المجلد (٤٠) العدد (٣)، ص (١٧٧-٢٠٨)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(٩٩) بحث منشور **بمجلة: اتحاد الجامعات العربية للآداب** بالأردن، في ٢٨ صفحة، المجلد (٧) العدد (٣)، ص (٥٦٣-٥٩٠)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠٠) بحث منشور **بمجلة: المعرفة**. وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٨ صفحات، السنة (٤٩) العدد (٥٦٦)، ص (٣١٦-٣٢٣)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠١) بحث منشور ضمن كتابه: **في النقد التطبيقي محاورات مع نصوص شعرية ونثرية**، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، ص (١٣-٢٩)، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٠٢) بحث مطول يقع في حوالي ستين صفحة، نشر **بمجلة التربية والعلم** بالموصل، المجلد (١٨)، العدد الأول، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(١٠٣) بحث منشور **بمجلة: أبحاث في اللغة والأدب** جامعة بسكرة بالجزائر، في ١٧ صفحة، العدد (٧)، ص (٢٣١-٢٤٧)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(١٠٤) بحث منشور **بمجلة: المجمع العلمي العراقي**، في ٢٤ صفحة، المجلد (٥٩) الجزء (٢)، ص (١٢٣-١٤٦)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ثم نشره مرة أخرى- مختصرًا- بمجلة العرب في ١٤ صفحة، جزء (٧-٨) السنة (٥٣)، ص(٣٩٣-٤٠٦)، صفر ١٤٣٩هـ/ نوفمبر ٢٠١٧م.

(١٠٥) بحث منشور **بمجلة: الدراسات الإنسانية بكلية الآداب**- جامعة دنقلة بالسودان، في ١٣ صفحة، العدد (٨)، ص (١٨٧-١٩٩)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(١٠٦) بحث منشور **بمجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**- إيران، في٢٠صفحة، العدد(١١)، ص(١٣١- ١٥٠)، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

(١٠٧) بحث منشور **بمجلة: جامعة البعث للعلوم الإنسانية**- سوريا، في ٣٠ صفحة، المجلد (٣٥) العدد (٩)، ص (١٥٩-١٨٨)، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(١٠٨) بحث منشور **بمجلة: العلوم العربية**- عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، في ٥٧ صفحة، ص (١٣٧-١٩٣)، عام ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

(١٠٩) بحث منشور **بمجلة: كلية الآداب**- جامعة طنطا، في ٥٠ صفحة، العدد (٢٧) الجزء (١)، ص

(١ ـ ٥٠)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٠) بحث منشور **بالمجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، في ٨٤ صفحة، المجلد (١٠) العدد (٢)، ص (٧٩ ـ ١٢٦)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١١) بحث منشور **بمجلة: كلية الدعوة الإسلامية** ـ ليبيا، العدد (٢٨)، ص(٢٣٧ ـ ٢٦٦)، عام ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٢) بحث منشور **بمجلة: المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ـ تصدرها جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، في ٣٧ صفحة، المجلد الأول العدد (٢)، ص (٤٩١ ـ ٥٣٧)، رجب ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٣) بحث منشور **بمجلة: الثقافة والتنمية** ـ وزارة الثقافة المصرية، في ٦١ صفحة، السنة (١٥) العدد (٨٣)، ص (١٧٣ ـ ٢٣٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٤) بحث منشور **بمجلة: العلوم الإنسانية** ـ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، في ١٣ صفحة، المجلد (١٥) العدد (٢)، ص (٢٢١ ـ ٢٣٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٥) بحث منشور **بمجلة: جامعة الأقصى** ـ غزة، في ٢٧ صفحة، المجلد (٩) العدد (١)، ص(٢٧ ـ ٥٣)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٦) بحث منشور **بمجلة: إضاءات نقدية** ـ جامعة آزاد الإسلامية بإيران، في ١٨ صفحة، السنة (٤) العدد(١٤)، ص(٦٩-٨٦)، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

(١١٧) بحث منشور **بمجلة: كلية التربية الأساسية** ـ الجامعة المستنصرية بالعراق، في ١٦ صفحة، العدد (٨٨)، ص (٢٠٩ ـ ٢٢٤)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١١٨) بحث منشور **بمجلة: العربية والترجمة** ـ بيروت، في ١٤ صفحة، العدد (٢٣) السنة السابعة، ص(٢٠٣ ـ ٢١٦)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١١٩) بحث منشور **بالمجلة العلمية** لجامعة الإمام المهدي بالسودان، في ٢١ صفحة، العدد (٦)، ص (٥٣ ـ ٧٣)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١٢٠) بحث منشور **بمجلة: المعرفة** ـ وزارة الثقافة بالجمهورية السورية، في ٩ صفحات، السنة (٥٤) عدد (٦٢٠)، ص (٢٥٣ ـ ٢٦١)، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

(١٢١) بحث منشور **بمجلة: كلية دار العلوم** ـ جامعة القاهرة، في ٩٩ صفحة، العدد (٩٣)، ص (٦٩ ـ ١٦٧)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٢) بحث منشور **بمجلة: دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية** ـ الأردن، في ١١ صفحة، المجلد (٤٣) العدد (٢)، ص (٧١٥ ـ ٧٢٥)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٣) بحث منشور **بالمجلة الأردنية** في اللغة العربية وآدابها، في ٥١ صفحة، المجلد (١٢) العدد (٤)، ص (١٤٠ ـ ١٩٠)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

(١٢٤) بحث منشور **بالمجلة العلمية** لكلية التربية جامعة مصراته ـ ليبيا، في ٣٠ صفحة، المجلد الأول العدد (٥)، ص(٢٣٧ ـ ٢٦٦)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

(١٢٥) بحث منشور **بمجلة الأندلس** (إصدار خاص)، ٩٠ صفحة، المجلد الأول، (العدد ٣) ذو القعدة ١٤٣٧هـ/سبتمبر ٢٠١٦م.

(١٢٦) بحثٌ قدَّمه إلى المؤتمر الدولي الثاني: «التراث العربي الإسلامي: الرصيد والعمل والمثاقفة والحضور»، الذي نظمه معهد المخطوطات العربية بالتعاون مع مركزي: تحقيق المخطوطات بجامعة قناة السويس وإحياء التراث العلمي بجامعة بغداد، والذي انعقد بالقاهرة يوم الأربعاء والخميس ٥-٦ جمادى الثاني ١٤٣٩هـ/٢١-٢٢ فبراير ٢٠١٨م.

أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
محطات من رحلة الحياة والكلمة

أ. د. نادية غازي العزّاوي (*)

(٣)

لعلّ أبرز ما يلحظه من يدقّق النظر في ثبت عنوانات مؤلفات الدكتور مطلوب تأليفًا وتحقيقًا ومراجعةً وعرضًا، أنّ منجزه رحب مترامي الأطراف، متنوّع الاهتمامات، لم يقف عند حدود التخصّص الدقيق على نحو ما نلمس عند أستاذتنا الحديثي، التي ظلت محافظة على مجال تخصّصها اللغوي. أمّا قلم د. مطلوب فغزير، ساح في مجالات متنوعة: البلاغة وتاريخ البلاغة، تاريخ النقد، التراجم والسّير، الكتابة الإبداعية في الشعر والنثر، فضلاً عن دراساته النقدية التطبيقية، التي تعاملت بأريحية مع النّصوص، فلم تقتصر على عصر أو حقبة أو اتجاه؛ لقد تنقّل بين النصوص التراثية والحديثة، بغض النظر عن أحكامه النقدية عليها، كتب عن شعر أبي حيان النحوي، والأخطل الصّغير، والقروي، ونازك الملائكة، وشعر إبراهيم السّامرائي، وكتب عن القزويني كما كتب عن زكي مبارك والجاحظ والآمدي وأبي هلال العسكري. فضلاً عن خوضه غمار

التأليف المعجمي؛ إذ ألّف عددًا من المعاجم التخصصية، لعل آخرها معجم ألف ليلة وليلة، وسأفرد له حديثًا مستقلاً في نهاية الفقرة؛ لأهميته وانفتاحه على إمكانات مستقبلية دعا إليها المؤلف، فهو يؤمن بحيوية الصلة العضوية بين القديم والجديد، والترافد الصحيح فيما بينهما، كيف لا وهو مَنْ دأب على القول: «المجدّد إن لم يصدر عن التراث يظلّ بعيدًا عن الأصالة؛ لأنّ التجديد قتْل القديم درسًا»[1]، وأكّد الفكرة في موضع آخر: «وإنّ المجدّد لن يقدر أن يُثبّت أقدامه في خضمّ الحياة الأدبية ما لم يقتل القديم درسًا وبحثًا، وينفذ إلى أعماق الدراسات كلّها»[2]. كما يمكننا رصد عدد من المهيمنات على منجزه، مثّل قسم منها بواعث ومنطلقات لاختيار موضوعات تآليفه؛ منها:

١- نزعته العروبية، وإيمانه بكلّ ما يمتّ إليها بصلة: لغةً وقضايا ورموزًا وشخصيات وتاريخًا، فهو حريص على تسليط الأضواء عليها، وإبراز كلّ ما من شأنه الكشف عن القِيم السامقة الكامنة فيها، والأمثلة العليا التي أبرزتها، يلتقط الشاردة والواردة مادامت تمتّ إلى هذه الأمة المشرّفة التي ينتسب إليها هويةً وقلبًا وقلمًا معًا.

ومن المفيد أن أضع بين يدي القارئ الكريم نصّ الرّسالة الإخوانية التي بعثها الرّاحل إلى الشّاعر المهجري (جورج كعدي) عام ١٩٧٥م، ليلمس كيف يتصاعد من حروفها عبق العروبة بكلّ ما تعنيه الكلمة من معنًى: «تسلّمتُ هديتك الثمينة (الديوان الجديد)، وسررتُ به أيما سرور، وحمدتُ الله الذي وحّد بين قلوبنا على بُعد الدّار، فأصبحنا بنعمته إخوانًا. إنّ الصّحارى الشاسعات، والبحار الهادرات، والجبال الشّاهقات، لم تحل في يوم من الأيام بين الإخوة العرب، وإنّ الذين تركوا ديارهم ظلوا أوفياء لها مخلصين. وقد علّمتنا الحياة أنّ أمة العرب خالدة مهما غفتْ أو كبتْ، وما تلك إلاّ غفوة ترقُّب أو كبوة توثُّب، وأنّ ما في عروقنا من دماء عربية ستظلّ الصوت الهادر في سبيل التحرّر والانعتاق. وقد تجلّى ذلك في (الديوان الجديد)، الذي عكفتُ عليه وتأملتُ كلماته، فإذا هو

إيمـان باللّه وحبّ للوطـن وإخلاص للأمة. إنّك أيهـا الأخ الكريم لمن المجاهدين الأبـرار، والأبطال الأحـرار، الذين سـيخلدهم تاريخ هذه الأمة حينما ينصـف أبناءها المغتربين، وإنّ كلماتك ستورق، وإنّ أبياتك ستزهر، وإنّ قصائدك ستثمر بإذن اللّه، ويومئذ يفرح المؤمنون:

أخـي إنْ نـأتْ بـك بوليفيا ... فـأنت هنا الشّـاعرُ الملْهَمُ
كـأنّي أراك وأصـغـي إلـى ... نـدائـك والـشـوقُ قـد يُلهمُ
وإنّ قـصـيـدكَ في صـدقه ... لأقوى من الشّكّ إذ رجّموا
حننتَ إلـى الأرز حتى هفتْ ... جـبـال وغـنّـت لـهـا أنجـمُ
وصُغت ليعرب أسمى هوًى ... يظلّ . كما صغتَه . يبسمُ
وذلـك مـن شـرفٍ بـاذخ ... نما لك ما المجدُ إلاّ همُ
ظللتَ على غربةٍ من نوىً ... تغني وداؤك لا يرحم
وتبقى وتبقى أبيًّا كما ... عهدناك يا أيها الأكرمُ
فشعرك أخلد ممّا بنوْا ... وحبّك أصدقُ بل أعظمُ»[٣]

وتبرز العروبة في تصدّيه الشّجاع لكلّ ما يخدش صفاء اللغة العربية؛ من دعوات إلى العامية أو العجمة، أو إدخال أصوات جديدة على منظومتها الأصلية، أو التحوير والتغيير في حروفها، وغيرها من بدع شاعت في مراحل مختلفة من تاريخنا المعاصر، كان لديه، مثله مثل أي غيور على عربيته، استشعار دقيق لما تمثّله هذه الدعوات من مؤامرات خبيثة تستهدف محو الوجود العربي وتاريخه، باستهداف أهم رموزه: هذه اللغة العظيمة وعاء كتابنا المقدّس العظيم. حتى اختياره الشخصيات التي درسها، لم يجر الاختيار بمعزل عن نزعاتهم العروبية، فكانت الأصداء تتجاوب فيما بينه وبينهم، تجد مصداق ذلك في دراسته عن الشاعر القروي، وشعراء المهجر الجنوبي، وزكي مبارك، الذي أعجب به شخصًا ونتاجًا وموقفًا، فقال عنه بإكبار: «نشأ زكي نشأة عربية، وعاش في بيئة ريفية تُقيم للإسلام والعروبة وزنًا، وتأصَّل حبّ العرب والإسلام في نفسه بعد أن التحق

بالأزهر الشّريف، ودرس العربية والفقه الإسلامي، وتخصّص في الجامعة باللغة العربية، وحصل فيها على ثلاث شهادات للدكتوراه، وكان لهذا أثر كبير في نزعته العربية التي تأصّلتْ وأصبحت عقيدة راسخة، وازداد إيمانه بالعروبة بعد عودته من باريس سنة ١٩٣١م، وأخذ ينشر الكتب والبحوث عن الأدب العربي، ممّا جعل الدكتور (إبراهيم ناجي) يلومه ويدعوه إلى الكتابة عن الأدب الفرنسي، ولكنّ الشاعر أبى ذلك؛ لأنّه نذر نفسه لخدمة الأمة العربية وقضاياها الفكرية، والدفاع عن العروبة... واتصل وهو في العراق بدعاة الوحدة العربية، وعمل من أجلها»[٤].

ومن المنطلق نفسه كتاباه عن القروي شاعر العروبة، وصور عربية من المهجر الجنوبي، وقد درس أشعارهم المفعمة بالرّموز العربية والإسلامية، مع أنّ عددًا غير قليل منهم ليسوا مسلمين، ولكنّ نبض العروبة جمع بينهم في مغتربهم، وهو بعض ما أثار إعجابه فيهم، فكان يطرب لأمثال قول (توفيق بربر):

في عروقي دمُ العروبةِ يجري ... وهي عندي أعزّ من أولادي
عربي أنا ورغم اغترابي ... لم أزلْ مولعًا بحبّ الضادِ[٥]

ودرس نقديًّا أثر المرجعيات التراثية في أشعارهم، فقد تتلمذوا على أساطين الشعر العربي الجاهليين والإسلاميين والعباسيين، فلا غرابة إذا ما تركت بصماتها في صور هؤلاء الشعراء المعاصرين ومعجمهم اللفظي، وفي إيقاعاتهم. وقبل هذا وذاك رصد تجلّيات لغة القرآن في شعرهم: العبارات، الصّور، الأساليب.... إلخ، فوجد اقتباسات كاملة من السّور القرآنية في تلك النصوص، على نحو ما ورد في قصيدة (جورج صيدح) - مثلاً- المعنونة: (الأمير شكيب أرسلان)، المرصّعة باقتباسات مباشرة من (سورة مريم):

تتواصوْنَ بالجهاد كما أو ... صى وبالثأرِ (بكرةً وعشيا)
إنْ عكفتم على ثراهُ فناجوا ... روحَهُ تسمعوا (نداءً خفيّا)
شاوروهُ في أمركم واستمدوا ... من علي لسان صدقٍ عليا

وتستمرّ بقية الأبيات على هذه الشاكلة[٦].

وضمن توجُّهه هذا، وبحكم تولّيه قرابة عقدين مسؤولية رئاسة الهيئة الوطنية العليا في العراق للحفاظ على لغة الضاد، وعمله المتصل في لجنة اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي، ثم توليه منذ عام ٢٠٠٧م رئاسة المجمع العلمي، فقد عُني عناية مباشرة بقضية التعريب، وألّف أكثر من دراسة عنها، وعن أهميتها في الحياة الثقافية والجامعية، ومنها: كتابه: حركة التعريب في العراق، أورد فيه تفصيلات غنية عن الجهود التي بُذلت منذ ثلاثينات القرن العشرين في المدارس والكليات، وفي المجلات والصّحف، ثم في أروقة المجمع العلمي في تعريب المصطلحات الأجنبية الوافدة، وعرض لمسائل دقيقة عن مفاهيم: (الترجمة)، و(الدخيل)، و (المولّد)، و (النحت)..... والإجراءات المتخذة بشأنها، وخصّص مباحث لتأصيل قضية التعريب، منها: (المعرّب والقرآن الكريم)، (المعرّب والاشتقاق)، (المعرّب والقياس)، و(الآراء الخلافية في تعريب الأعلام) قديمًا وحديثًا، وناقش باستفاضة جانبًا من قرارات المجامع العربية في هذه المسألة، وكانت له ردود على بعض العلماء فيما ذهبوا إليه في بعض هذه المسائل، ومنها رأي (د.عباس حسن) في تبنّي فكرة عالمية المصطلح، الذي قد يسوّغ عنده استعمال بعض الأصوات غير الأصيلة في لغتنا، وهو ما وجد فيه أستاذنا محاذير معينة، نبّه عليها في قوله: «فليس هناك مصطلح عالمي، ولكنّ الذي رآه يرجع إلى أنّ اللغات الأوربية تصدر عن أصول مشتركة كاليونانية واللاتينية، ولذلك تتشابه المصطلحات أو تقترب، وأين هذا من اللغة العربية الاشتقاقية ذات الأصل المختلف عن أصول اللغات الأوربية؟ إنّ دخول الألفاظ الأوربية في لغة من جنسها لا يفسدها كما يُفسد اللغة العربية، وإنّ الركون إلى الرّاحة التي دعا إليها موت للأمة ولغتها، فمتى سهل الأمر أمام الباحثين الجادين، ومتى جاء العلم رخاءً من غير عناء؟ إنّ الحفاظ على العربية وبذل الجهود في وضع المصطلحات، والدقة في اختيار الألفاظ أهم ما ينبغي العناية به لتحتفظ الأمة بنقائها، وتصون كيانها، فلا تذوب في شعوب الأرض»[٧]. وركّز على عرض جهود شخصيات وجد أنّ من حقها على الأجيال الجديدة أن تطَّلع على أدوارهم التاريخية الرّائدة في التعريب في العراق: أمين المعلوف، رزوق عيسى،

عزّ الدين التنوخي، عبدالمسيح وزير، جميل صدقي الزهاوي، الرّصافي، الأب الكرملي، محمد بهجة الأثري، د. جواد علي، محمد رضا الشبيبي، مصطفى جواد، د. جميل الملائكة..... وآخرين من العلماء.

وأنهى الكتاب بتأكيد ضرورة توافر مبادئ أساسية، لتسير عملية التعريب في مسارها الصحيح الشّمولي؛ منها: الإيمان المبدئي بالتعريب، والوعي بضرورته الملحّة بوصفه ركنًا رئيسًا في الحفاظ على الهوية العربية لأبنائها، وتفعيل هذا الوعي باتخاذ القرارالسّياسي الحازم بقانون ملزم لتطبيق التعريب في مفاصل حياة الشعب، وعقد الندوات والبرامج التوعوية والمؤتمرات، والتنسيق بين مراكز التعريب المختلفة في الوطن العربي، فضلاً عن توحيد الجهود بين المجامع العلمية المختلفة في بلادنا العربية[٨].

من مؤلفاته الأخيرة دراساته عن كتاب ألف ليلة وليلة، الذي توّجها بمعجم، حاول من خلال التحليل والعمل المعجمي أن يثبتَ بأدلّة نصية أنها عربية الأصول والفروع، من جوانب ثلاثة: البيئة العربية التي كانت مسرحًا جرت فيه أحداثها، ثم النزعة الإسلامية في التصوير والوصف، ثم أخيرًا الأسلوب. فقد وظّفت هذه الحكايات كثيرًا من الرموز والعبارات الإسلامية، استقصاها في التحليل، منها: عبارات البسملة والحوقلة والتسبيح، وأسماء الله الحسنى والفرائض الخمس، والقراءات القرآنيةالسّبع والعشر والأربع عشر، والقصص القرآني: آدم وحواء، قوم لوط، قصة النبي موسى وشعيب، قصة النبي سليمان وقدراته الخارقة، فضلاً عن جوانب أخرى تنهل من الثقافة الإسلامية من وجوه مختلفة.

وأكّد في مقدمة الكتاب: «وسألني سائل: ما لك ولهذه الدّراسات؟ قلتُ: ألم أنذر حياتي للحفاظ على سلامة اللغة العربية، وصون تراثها وازدهارها؟ ألا يعيبني أنني بعدما نلتُ ما نلتُ أنكص عن خدمة أمتي، وأشغل نفسي بما لا يقدّم ولا يؤخّر، أو بما يفسد العقول ويُعطّل القدرات؟ إنّ كتاب ألف ليلة وليلة أصابه الضّيم من الأجانب، وبعض العرب والمسلمين، أما يستحقّ الدّرس لإعادته إلى أرومته؟»[٩].

لم يتوصّل إلى تصوّره هذا بأحكام انفعالية مسبقة، ولكن بالدراسة التحليلية المتأنية، التي توّجها بمعجم عنوانه: معجم ألف ليلة وليلة، ضـمّ أكثر من (٥٠٠) لفظـة من ألفاظ الحضـارة في هذه الحكايـات، رتّبها ألفبائيًّا، وهـي تنتمي إلى تسـعة عشـر حقلاً دلاليًّـا: الملابس، العطـور، أدوات الزينة، الطعـام (الفواكه، الحلوى)، الشـراب، الأدوات والمواد، المقاييس والمكاييل، العملة، المهن والأعمال، الأمكنة، الحيوانات، الطيور والدواجن، النباتات، وسائل النقل.... وغيرها.

كان يـورد اللفظة مشـفوعة بنصّ أو أكثر مـن الحكاية، ثم يفسّـر المعنى، ويذكر معها بعض التعليقات التوضيحية المهمة، عن تاريخ دخول اللفظة، أو موتها واندثارها، أو بقائها مسـتعملة إلى يومنا هذا، مع تغير الدلالة حينًا أو ثباتها كما هي، ومنبّهًا أحيانًا على الاستعمال المجازي للفظة في النصّ المقتبس، وما فيه من مفارقات أحيانًا؛ كقوله:

- (البـاب العـالي): «.....مقرّ الصـدر الأعظـم رئيس الـوزراء في الدولة العثمانيـة في عهد السـلطان عبدالحميد الأول (١٢٠٤هـج- ١٧٨٠م)، وقد بقي عَلَمًا على رياسة الوزارة إلى أن انقرضت الدولة»(١٣).

- (البهلوان) «....المصارع، المشعبذ، ويراد به الحاكم أو المسيطر» (٢١).

- (الحصّة): «... المدّة من الزمن، برهة، لحظة، وتُستعمل الآن بمعنى زمن المحاضرة في التدريس» (٣٩).

ولم تخلُ تعليقاته من إشارات بلاغية؛ كقوله:

- (لخريطة): «... وعاء من جلد أو نحوه يُشدّ على ما فيه، ومن هذه أُخذتْ كلمة الخريطة التي هي رسم للكرة الأرضية ونحوها، ويبدو أنّ الخريطة بمعناها الحاضر كانت توضع في الوعاء (الخريطة)، فأُخذ الاسم منها على سبيل المجاز المرسل» (٤٥).

- ومّما يقع ضـمن المشترك اللفظي: (الدّسـت)، وقد قال عنها: «في هذين النصـين بمعنى القِدر الذي يُطبخ فيه. وتأتي الكلمة بمعنى الكرسـي، والكانون، والقاعدة» (٥٢).

ومن تعليقاته الخاصة ببعض أسماء الأعلام: ما ورد في تعليقه على لفظة (شمسة): «اسم امرأة، وكان الاسم مستعملاً في القرن العشرين» (٨١).

- (الطّفر): «سير يُشدّ به حزام السّرج على الدّابة، ويكون تحت ذنبها، وهو (التّفر) في العراق» (٩١).

- ومّما يندرج تحت التراكيب وليس الألفاظ المفردة: (عال العال): «...أي من أجود ما يكون، ولاتزال مستعملة حتى هذه الأيام» (٩٥).

- ومن ألفاظ الطعام التي أوردها في معجمه: (العصيدة)، وقال عنها: «.... تشبه الشوربة، وكانت تُصنع في العراق من الطحين والسّمن والماء» (٩٩).

- (المرسوم): «...الأمر المكتوب، والجمع (المراسيم)، ومنها الآن: (المراسيم الجمهورية)» (١٣٩).

وبالرغم من هذه التعليقات المفيدة، فقد مرّت كثير من الألفاظ الأخرى من غير تنبيه، مع أنها ما زالت متداولة في كلام الناس في أيامنا هذه، في العراق وبلاد الشام ومصر وبقاع أخرى، وبما يؤكّد فكرة السيرورة اللغوية، واستحالة اندثارها، مادام الخلَف يأخذ عن السّلف، والتواصل بين الأجيال قديمًا وحديثًا.

وقد أحصيتُ عددًا من هذه المواد اللغوية التي مازالت متداولة في كلام العرب لم ينبّه عليها المؤلف؛ منها:

الأزعر، الإسكافية، الإسطبل، الأفندي، البخت، البردعة، البرنس، البياض (بمعنى الجصّ)، التربة (بمعنى المقبرة)، التشويش، التقدمة (بمعنى الهدية)، الجزارة، الحاوي، الحرامي، الحشّاش، الحلاوة، الحوالة، الحوت، الحوش، الخان، الختمة، الخرج، الخولي، الداية، الدبوس، الدخان، الدرج، الدّهان، الدهليز، السّاعي، السّبحة، السُفرة، السّفوف، السّماط، السّيخ، الشرطة، الشطّار، الشّمعدان، الصّومعة، الصّيوان، الطاقية، الطيرة، العائلة، العرب، العريس، العريشة، العريف، العملاء، العيال، الغبرة، الغوطة، الغيط، القاعة، القانون (آلة موسيقية)، القرصة (رغيف الخبز)، القصعة، القماش، القنطرة،

القهـوة، الكباب، الكعك، الكوفية، المصـاطب، المطمورة، المقالي (جمع مقلاة)، المقصـورة، المكتـوب (أي الرّسـالة)، المكسّـرات، الملاهـي، النقـوط، الهراوة، الهرس، الوزيرة، الوصيفة، الوطن، الوطواط، الوكالة، اليمام.

إنّ هـذا النمـط من المعاجم مفيد جدًا في اسـتقراء الـكلام المولَّد، ومعرفة عصـور تداوله، وأصوله الفصيحة والدخيلة، وصلته بعربيتنا اليوم، وهو مشروع دعا المؤلف إلى استكماله، بمراجعة موسوعات العصور المتأخرة خاصة، والتنقيب والتحرّي فيها.

٢- جهوده في مجال المصـطلح: عُني الرّاحل بالمصـطلح؛ لأنّه القطب الذي تـدور عليه مادة العلم، والمفتاح المركزي الذي يسـهّل الولوج الآمن والسـليم إلى تلقّي مسائله بوضوح، ومن خلاله تتحدّد مقاصد الباحثين والمؤلفين بتركيز ودقة، وتنتقـل بيسـر وانتظام إلى المتلقـين، وإهماله يؤدي إلى المشـكلات التي تواجهنا اليوم، بسـبب الفوضى في استعمال المصطلحات، وما يترتب عليها من اضطراب الدلالـة، واللبس في الفهـم والإدراك. وبحكم عمله الطويـل في المجامع العلمية، ولاسـيما المجمع العلمي العراقي، فقد كان على صلة مباشرة بالجهود المبذولة في وضع المصـطلحات الجديدة وصـناعتها وتوليدها، مؤكدًا ضرورة مراعاة جملة من الأسس الصحية والصحيحة في وضع المصطلحات، وضمان سيرورتها، منها:

- أهمية اتفاق أهل الاختصاص على دلالة المصطلح على الفكرة المرادة.

- وجـود المناسـبة القويـة أو المشـابهة السلسـة بين المعنى الجديـد والمعنى اللغوي، لتجنُّب الاسـتيلاد القسـري- إذا صـحّ الوصـف- فمثل هذه الحالة تؤذن مسبقًا بفشل الاختيار.

- الاكتفاء بمصطلح واحد للمفهوم الواحد؛ للحيلولة دون التعدّد غير المسوّغ، وحرصًا على استقرار الاستعمال من غير ارتباك أو تداخل.

- العناية بالصياغة اللفظية للمصطلح، والميل إلى اللفظة المأنوسة، وتجاوز الحوشـي والغريـب، والثقيل على اللسـان. وتفضـيل اللفظة المفـردة على خيار التركيب، أو العبارة المطوّلة.

– الاستفادة من الخبرة المتراكمة الواردة إلينا من تراثنا، واستثمار المصطلحات التراثية، وإعادة تفعيلها بما يضاف إليها من مفاهيم مستحدثة؛ فهجْر هذه المصطلحات من ضروب القطيعة المرفوضة بين القديم والجديد. فضلاً عن شروط وتوصيات فرعية أخرى دعا إلى الأخذ بها: عن النحت والاشتقاق، وشروط التعريب ومحدّداته[١٠].

وكان كثير الانزعاج من الفوضى في استعمال المصطلح في واقعنا الثقافي المعاصر، حتى صار كثير من المؤلفين يذيلون كتبهم بقوائم بالمصطلحات التي وردت فيها مع دلالاتها، وتتفاقم الحالة أكثر مع اختلاف المرجعيات الثقافية الأجنبية التي نهل منها هؤلاء المؤلفون، ممّا يتّضح جليًّا في استعمالاتهم الاصطلاحية التي يشوبها التداخل والتناقض أحيانًا أخرى.

وقد أخذ على عاتقه وضع بعض اللبنات في هذا المجال، فكان معجماه: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الذي اشتمل على ألف ومئة مصطلح، ومعجم مصطلحات النقد العربي، وقوامه ثمانمئة وثمانية عشر مصطلحًا.

وهذان المعجمان - بحقّ - واسطة عقد منجزه؛ لما فيهما من إحاطة واستقصاء، وتفصيلات قيمة من المسائل الخلافية، وحسن اختيار الشّواهد الدّالة على مضمون المصطلحات، فأغلب المواد في المعجمَيْن مكتنزة بالأمثلة المعزّزة للمادة المشروحة، وبما يجعل الفائدة مضاعفة للقرّاء؛ لأنّهم ليسوا في حاجة إلى المفاهيم النظرية المجردة فحسب، بل لا بد من أن تأتي مشفوعة بما يجلوها أمامهم، ويقرّبها إلى مداركهم.

لقد اختار مجال الاصطلاحيّن البلاغي والنقدي القديم؛ لتداخلهما في مراحل كثيرة في عدة قرون، كما اختار المجال التراثي؛ لأنه أراد أن يؤسس على نحوٍ صحيح منطلقًا من البداية، لكي يؤصّل لمن سيتلوه، وهو ما قصده بقوله: «إنّ صدور المعجمين دعوة مخلصة إلى وضع المعجم النقدي الحديث، وإذا كانا قد وقفا عند القديم، فذلك ما أريد لهما؛ ليكونا منطلقًا لا رسومًا تقيد الخطى»[١١].

كان تصنيفه هذين المعجمين لحظة من حلم قديم، طالما راوده وراود الباحثين المعاصرين، أعني: تأليف المعجم التاريخي الشّامل لألفاظ العربية، الذي يرصد التطور الدلالي للألفاظ، وحركة تداولها في النصوص بين مختلف العصور.

تخير الراحل بجهده الفردي الصّرف زاوية صغيرة من هذا الحلم العريض، فكان يجمع مواد المصطلحات البلاغية والنقدية وعينُه ترنو إلى الأمنية الكبرى، ولأنّ ما لا يدرك كلّه لا يتُرك بعضه، كما اعتاد أسلافنا أن يقولوا بهممهم العالية، وعلى نحو ما أفصح في قوله:

«وأول خطوة إلى التراث البلاغي دراسة مصطلحاتها وتطوّرها، وإبرازها بثوبها العربي الأصيل، ولن يتمّ ذلك إلاّ بوضع معجم يجمع جزئياتها، وينسّقها في عرض تاريخي يُظهر تطوّرها، ويحدّد معالمها، وقد ظهرت هذه الفكرة منذ سنوات طويلة، ولكنّ الوصول إلى وضع معجم كان حلمًا بعيدًا؛ لأنّ تاريخ البلاغة العربية طويل، ولأنّ القدماء لم يلمحوا التطور إلاّ بما يخدم أهداف الكتب التي ألّفوها؛ لأنهم لم يقصدوا إلى التاريخ قصدًا، ولم يسعوا إلى وضع معجم البلاغة التاريخي سعيًا، ولكنّ الدعوة إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية ظلت تتردّد»[١٢].

وأخذ على أهل المجامع اللغوية والعلمية العربية اهتمامهم بألفاظ الحضارة والمخترعات الحديثة، أكثر من عنايتهم بالاصطلاحات اللسانية والنقدية والبلاغية؛ لأن الأولى تتصل بحياة الناس على نحوٍ مباشر، ومتعلقة بحاجاتهم المادية والاستهلاكية اليومية، فضلاً عن حرصٍ الجميع على تغطية مجالات التقدّم التقني والعلمي، بينما أهملت العلوم الإنسانية وجهازها الاصطلاحي، أو لم تجد الاهتمام المماثل، وعدّ ذلك من الإخلال وعدم التوازن الطبيعي بين اتجاهات المعارف، بل اتجاهات الحياة بعامة.

٣- ومن بواعث التأليف عنده أيضًا: مواجهة النسيان والإهمال الذي مُنيت

به بعض الشخصـيات؛ إذ انحسرت عنها أضواء الشهرة، وأغفلهم الدارسون، أو لم يتناولوهـم بالشـمولية المرجوّة، فالتأليف عند أسـتاذي في بعض جوانبه محو للنسـيان، أو إزالة للضـيم والإجحاف، لاحظ - مثـلاً - كيف تحدّث عن (جورج كعدي) في كتابه عن شـعراء المهجر الجنوبي في ثمانينات القرن الماضي: «وليس في الكتب التي تعرّضتْ لأدباء المهجر إلاّ أسطر قليلة أو إشارات عابرة إلى كعدي، قدّيس العروبة في بوليفيا؛ لأنّ تلك الكتب اهتمّت بمن اشتهروا، أو حامت حولهم الدعاية، ولم يكن جورج كعدي واحدًا منهم»[١٣].

وهو الدّافع نفسـه تقريبًا الذي حداه إلى الكتابـة عن (زكي مبارك)، الذي قـرأه في مرحلة مبكرة من حياته، وتأثر به إنسـانًا ومبدعًا، وآلمه أن يغفله النقاد في العقود الأخيرة، حتى كادت صفحته أن تطوى، فنبّه:

«وقد نسـيه مؤرخو الأدب، وهو الأديب الكبير الذي حارب الاستعمار، ونادى بالوحدة العربية، يوم كان لدعاة الإقليمية والتغريب حَوْل وطَوْل، وخاض من أجل ذلك المعارك مع الأقطاب... ودافع عن أصالة الفكر العربي، وندّد بدعاة الإقليمية وعملاء الاسـتعمار.. وكانت مواقفـه القومية والوطنيـة والوجدانية تعيش معي، وكنتُ كلّما مضيتُ في القراءة أزداد أسفًا على ما لقي من ظلم وإجحاف»[١٤].

حتى دراساته التي ألّفها في هؤلاء الأعلام، فإنّه كان يتخير الجوانب المجهولة من نتاجاتهم، أو المهملة التي لم تُسلّط عليها الأضواء على نحوٍ كافٍ.

لقد ألّف عام ١٩٧٠م كتابه الرّصافي: آراؤه اللغوية والنقدية، وقدّم له قائلاً: «لقد عرف الناس الرّصافي شاعرًا عظيمًا، ولم يعرفوه عالمًا لغويًّا وأديبًا لوذعيًّا؛ لأنّ معظم الدراسات التي صدرتْ والمقالات التي كُتبت، عُنيت عناية كبيرة بشعره وآرائه السّياسـية والاجتماعية، ومن هنا كان لابدّ من إظهار هذا الجانب المشرق وعرضه، ليدخل الرّصافي في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة»[١٥].

ولم يكتـفِ بذلـك لتحقيق هذا الهـدف، فجمع (مقالاته اللغويـة) ولملم نثار

جهوده؛ لتكون بين يدي: «الباحثين العرب في كلّ مكان، واستكمال صورة البحث الذي استمدّ أصوله منها، وحفظها في كتاب واحد، بعد أن تفرّقتْ في الصحف، وأصبحت بعيدة عن أيدي الدّارسين»[١٦].

وهكذا تضافرت البواعث الوجدانية والعلمية الأكاديمية في منجزه: كتبًا ودراسات ومعاجم، مكتوبة بلغة فصيحة علمية، عذبة حين تكتنفها العواطف واللواعج، كيف لا وقد جمع بين دقّة قلم العالِم، وبين طراوة قلم الشاعر، وهي مزية لم تتوافر لكثيرين من الأعلام.

٤- ومن آرائه المهمة: عدّه النصّ الأدبي، شعرًا كان أم نثرًا، وثيقة تاريخية وجغرافية وسياسية واجتماعية، لا غنى للباحث عنها، مع خصوصية الجانب الإبداعي الذي في الشعر، فهو يؤمن أنّ: «كتب التاريخ من أهم مصادر إعادة كتابته، ولكنها لا تغني وحدها في رسم جميع الصّور التي يسعى الباحث إلى أن يرسمها لحقبة تاريخية أو لحالة من الأحوال، ولابدّ - لإضاءة بعض الجوانب - من الرّجوع إلى مصادر أخرى تفتح الطريق أمام الباحث، وتجعله قادرًا على الموازنة والحكم، ورسم صورة جليَّة لحدث أو لحالة أو لواقع، والشعر من هذه المصادر التي تقدّم مادة نابضة بالحياة؛ لما فيه من جمال التعبير، وخيال التصوير، وقوة التأثير، ولأنّه يلقي ضوء على الأحداث، ويكشف عن جوانب ربّما أهملتها كتب التاريخ، وقد تُنبّه إشارات فيه إلى البحث والتنقير ومتابعة الأحداث في المظان المختلفة؛ للتأكّد منها، أو الاستعانة بها في رسم الوقائع والشخصيات، والتعبير عمّا في الضمائر، ممّا لم تستطعْ كتب التاريخ تصويره»[١٧].

وهكذا أفاد من شعر شعراء العصر العباسي الأول في استقراء ملامح تشكّل المدينة العباسية، وتحوّلات الحياة فيها، وبخاصة بغداد، كما أفاد من مؤلفات الجاحظ في الكشف عن طبقات خصبة من الحياة الاجتماعية في مدينة البصرة، لا نجدها في حوليات المؤرخين المعروفة، لأنّ عين الأديب المرهف وجدانيًّا ونفسيًّا غالبًا ما تستشعر بمجسّاتها الداخلية الرؤيوية الخاصة تفصيلات غنية، تفصح عن علاقاته الجدلية المركّبة تأثرًا وتأثيرًا بالمكان والزّمان والبشر من حوله.

الهوامش:

(*) الجامعة المستنصرية ـ كلية التربية

(١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: ص٧.

(٢) **القزويني وشروح التلخيص**: ص١٨.

(٣) **صور عربية من المهجر الجنوبي**، د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م: ص ١٦٩-١٧٠.

(٤) **عاشق بغداد**، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م: ص١٨١.

(٥) **صور عربية من المهجر الجنوبي**: ص٣٢.

(٦) م. ن: ص١٢٦، ١٢٧.

(٧) **حركة التعريب في العراق**، د. أحمد مطلوب، الكويت، ١٤٠٣هج/١٩٨٣م: ص ٤٥.

(٨) م. ن: ص ٢٣٥.

(٩) **ألف ليلة وليلة**: عروبتها، لغتها، شعرها، منشورات المجمع العلمي ١٤٣٣هج/٢٠١٢م: ص٣، ٤.

(١٠) **حركة التعريب في العراق**: ص٢٣٥.

(١١) **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: المقدمة: ص (ح).

(١٢) م. ن: ص٧.

(١٣) **صور عربية من المهجر الجنوبي**: ص١٧١.

(١٤) **عاشق بغداد**، د. أحمد مطلوب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ٢٠٠١م: ص٥- ٦.

(١٥) **الرّصافي آراؤه اللغوية والنقدية**، د. أحمد مطلوب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م: ص١٢.

(١٦) م. ن: ص١٣.

(١٧) **المدينة في التراث**، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، بغداد ١٤١٤هج/ ١٩٩٤م: ص٥.

كتاب «بحوث ومقالات في تاريخ المدينة المنورة»

بقلم الشيخ حمد الجاسر

يحوي هذا الكتاب بين دفّتيه ما عُني به علاّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر في تاريخ المدينة المنوّرة من مقالات وأبحاث بلغت ٨٤٥ صفحة من القطع المتوسط، رُتبت موضوعاته ترتيبًا تاريخيًّا حسب نشرها، بجمع المتجانس من الموضوعات المفرَّقة، واختصَّ بالبحوث والمقالات التي بلغت ٢٦؛ لكثرة ما أنتجه الشيخ حمد عن المدينة: تحقيقًا وبحوثًا ومقالات له ولغيره، ونشرًا لما يخصها في الرحلات، علاوة على ما في كتبه بعامة عنها، واختتم الكتاب بفهرسة علمية دقيقة لما ورد فيه من الأعلام، والأسر والقبائل والأقوام، والبلدان والمواضع، والكتب، والصحف والمجلات.

وقد صدر هذا الكتاب عن مركز حمد الجاسر الثقافي بعد قراءة أوّلية للدكتور عبدالعزيز الهلابي، ثمَّ أولاه الدكتور عائض الرّدّادي عنايته مراجعةً وتدقيقًا، بما حباه الله من خبرة ودراية في تاريخ المدينة المنوّرة، بدت في نتاجه العلميّ الرّصين، الذي نال إشادة علاَّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ـ رحمه الله ـ واستحسانه.

ويجيء هذا الإصدار في سياق العناية بالتّراث العلميّ لعلاّمة الجزيرة،

الذي ما زال المركز يزويه بتنضـيد ما ائتلف، وتنسيق ما اختلف في شتّى الحقول العلميّة من السِّير والتراجم، والتاريخ، والبلدان، والقبائل، والأنساب، والرَّحلات، والمراسلات؛ تسهيلاً لسبيل التزوّد منها، وحفظًا لهذه الذخيرة العلمية.